الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي –

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الاجتماعية

مذكرة بعنوان:

أزمة العلوم الإنسانية عند إدموند هوسرل

مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر أكاديمي في شعبة العلوم الاجتماعية
تخصص: فلسفة عامة

من إعداد:
زهيرة طلية
سمية قاسمي

إشراف الأستاذ:
د. عبد الحفيظ البار

نوقشت المذكرة علنا يوم: 2025/05/28
لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الجامعة	الصفة
د.نبيل عبابسية	جامعة الشهيد حمه لخضر – بالوادي-	رئيسا
د. عبد الحفيظ البار	جامعة الشهيد حمه لخضر – بالوادي-	مشرفا ومقررا
د.بديع الزمان حوري	جامعة الشهيد حمه لخضر – بالوادي-	مناقشا

السنة الجامعية:1445-1446هـ
2024-2025م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي –

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الاجتماعية

مذكرة بعنوان:

أزمة العلوم الإنسانية عند إدموند هوسرل

مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر أكاديمي في شعبة العلوم الاجتماعية
تخصص: فلسفة عامة

من إعداد:
زهيرة طلية
سمية قاسمي

إشراف الأستاذ:
د. عبد الحفيظ البار

نوقشت المذكرة علنا يوم: 2025/05/28
لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الجامعة	الصفة
د.نبيل عبابسية	جامعة الشهيد حمه لخضر – بالوادي-	رئيسا
د. عبد الحفيظ البار	جامعة الشهيد حمه لخضر – بالوادي-	مشرفا ومقررا
د.بديع الزمان حوري	جامعة الشهيد حمه لخضر – بالوادي-	مناقشا

السنة الجامعية:1445-1446هـ
2024-2025م

" **من باب: من لم يشكر الناس ... لم يشكر الله** "

وصلت رحلتي الجامعية إلى نهايتها بعد تعب ومشقَّة... وإذ بي أمتنُّ لكل من كان له فضل في مسيرتي

إلى صاحب السيرة العطرة، والفكر المُستنير

الذي كان له الفضل الأوَّل في بلوغي درجات العلم

إلى والدي الحبيب: **ط. إدريس** ... أطال الله في عُمره

إلى من وضعتني على طريق الحياة، وكانت لي أما وأختا وصديقة

فرعتني حتى صرت كبيرة

إلى أمي الغالية: **ز. سامية** ... أمد الله في عمرها

إلى **إخوتي وأخواتي** فقد كان لهم بالغ الأثر في تيسير كثير العقبات والصعاب

إلى رفيقي في الكفاح من أجل النجاح، وسندي في مسيرة الحياة

إلى زوجي الكريم: **ب. نور الدين** ... حفظه الله

إلى فلذات أكبادي كلا باسمه: **أريج** و**جمانة** و**جوري** و**يونس** ... حفظهم الله ورعاهم

إلى جميع أساتذتي الكرام؛ ممن لم يتوانوا في مد يد العون لنا

إلى زملاء الدراسة جميعا

أُهدي لكم عملي المتواضع هذا

زهيرة

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى،

وعلى آله وصحبه ومن وفى أما بعد:

الحمد لله الذي وفقني لبلوغ هذه الخطوة في مسيرتي الدراسية

فهذه ثمرة الجهد والتوفيق بفضله تعالى.

أهدي هذا الإنجاز إلى من غرسا في بذور العزيمة، وسهرا على تنشئتي بالعطاء والتوجيه

إلى من كانت دعواتهما النور في دروب الحياة، إلى **والديّ الكريمين**، نبض القلب وسند الروح، كل التقدير والحب لهما، حفظهما الله، وأدامهما نورا لدربي.

إلى رفيق دربي، وسندي في كل مراحل هذا المسار، إلى **زوجي الكريم لخضر**، الذي آمن بي وساند طموحي بصبر ومحبة... كل الشكر والعرفان لك.

إلى نبع الفرح، ومعنى الحياة في عيني، إلى **أولادي الأحباء الينا، اسلام، ليان، ادم**، حفظكم الله ورعاكم وجعل دروبكم مزهرة بالتوفيق والسعادة.

إلى **إخوتي وأخواتي**، الذين شاركوني الدرب وكانوا لي دائما عونا ونورا، وإلى جميع أفراد **عائلتي**، بكل محبيها ووجوهها الطيبة...

أهدي هذا العمل إليكم جميعا، عرفانا وامتنانا يليق بما منحتموني من ثقة ووفاء.

سمية

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين الذي يسر لنا أمور الخير، وسهل لنا سبل الحاجات حتى أتممنا هذا العمل بفضله ومنه وحسن عونه، فلله منا الحمد والشكر والفضل أولا وآخرا

وبكل فخر وامتنان، نتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى أستاذنا القدير

الدكتور: عبد الحفيظ البار، الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته السديدة، ونصائحه القيمة ومتابعته الدقيقة في جميع مراحل إعداد هذه المذكرة. فله منا كل الاحترام والتقدير على دعمه المتواصل وصبره الكبير.

كما نتوجه بخالص الشكر والتقدير إلى السادة أعضاء لجنة المناقشة، لما تكرموا به من وقتهم الثمين لمناقشة هذا العمل المتواضع، ولحرصهم على تقديم الملاحظات البنّاءة التي أسهمت في تنقيح وتحسين هذا العمل.

شكرنا لأعضاء هيئة التدريس، الذين بفضلهم صقلت معارفنا فكان لهم الفضل في إتمام هذا العمل

والشكر موصول لكل من كان له الفضل في مسيرتنا العلمية ونخص بالذكر

دفعة 2025

فجزاكم الله عنا خير الجزاء، وجعل ما قدمتم في ميزان حسناتكم

ملخص البحث:

تناولت هذه المذكرة موضوع الأزمة الإنسانية عند إدموند هوسرل، حيث تُشكّل هذه الأزمة محورا أساسيا لفهم التحولات العميقة التي شهدها الفكر الغربي في العصر الحديث، فقد لاحظ هوسرل أن الحضارة الأوروبية، رغم تقدمها العلمي والتقني، دخلت في أزمة وجودية تهدد المعنى الحقيقي للإنسان والعقل، حيث يرى أن هذه الأزمة لم تكن وليدة الحروب أو الاضطرابات السياسية فحسب، بل تعود جذورها إلى انحراف المشروع الفلسفي الغربي عن غايته الأصلية، وهي البحث عن الحقيقة وتوجيه الحياة البشرية نحو الكمال العقلي والروحي، ومع هيمنة النزعة الوضعية، أصبح العلم منغلقا على ذاته، يهتم فقط بالوقائع الموضوعية ويغفل عن الأسس المعرفية والروحية التي تمنح الإنسان معنى وجوده.

لذا نسعى من خلال عملنا هذا، لتسليط الضوء على جملة من المفاهيم الأساسية التي دعا لها هوسرل من أجل إعادة بعث الفلسفة عبر تبني منهجه الفينومينولوجي، الذي يقوم على "العودة إلى الأشياء ذاتها"، أي إلى الخبرة المعيشة والوعي بوصفه أساس كل معرفة، حيث هذا الأخير أي المنهج لا يهدف فقط إلى تجديد الفلسفة، بل إلى إنقاذ الإنسان من فقدان المعنى واستعادة الروح النقدية التي ميزت الفلسفة منذ اليونان.

فهذا العمل يرتكز على تحليل رؤية هوسرل للأزمة، وتبيان كيف تشكل دعوته إلى العودة إلى الذات العاقلة محاولة لإحياء الفلسفة بوصفها مشروعا إنسانيا كونيا، كما تسعى هذه الدراسة إلى إبراز أهمية هذه الرؤية في مواجهة التحديات المعاصرة التي لا تزال تعكس جوانب من الأزمة التي وصفها هوسرل قبل قرن من الزمن.

Abstract

This dissertation addresses the topic of the human crisis in the philosophy of Edmund Husserl, a crisis that forms a central axis for understanding the profound transformations that modern Western thought has undergone. Husserl observed that despite the scientific and technological advancement of European civilization, it had entered an existential crisis that threatens the true meaning of both humanity and reason. Husserl maintains that this crisis is not merely the result of wars or political unrest, but rather stems from a deviation of the Western philosophical project from its original aim—namely, the pursuit of truth and the guidance of human life toward intellectual and spiritual fulfillment. With the dominance of positivist thinking, science became self-enclosed, concerned solely with objective facts while neglecting the epistemological and spiritual foundations that give human existence its meaning. Therefore, this study aims to shed light on a set of key concepts proposed by Husserl to revive philosophy through the adoption of his phenomenological method, which is based on "a return to the things themselves," that is, to lived experience and to consciousness as the foundation of all knowledge. This method is not only intended to renew philosophy but also to rescue the human being from the loss of meaning and to restore the critical spirit that has characterized philosophy since ancient Greece. Accordingly, this work is grounded in an analysis of Husserl's vision of the crisis, showing how his call to return to the rational self-constitutes an attempt to revive philosophy as a universal human project. This study also seeks to highlight the relevance of Husserl's perspective in addressing contemporary challenges, which continue to reflect aspects of the crisis he described over a century ago.

قائمة المحتويات

العنوان	الصفحة
إهداء	II
إهداء	III
شكر وتقدير	IV
ملخص الدراسة	V
قائمة المحتويات	VI
مقدمة	أ
الفصل الأول: أزمة العلوم الإنسانية (مفهومها، أسبابها وتجلياتها)	
تمهيد	15
المبحث الأول: مفهوم أزمة العلوم الإنسانية	16
المبحث الثاني: أسباب الأزمة الهوسرلية	23
المبحث الثالث: تجليات الأزمة الإنسانية الهوسرلية	31
خلاصة الفصل الأول	37
الفصل الثاني: طبيعة العلوم الإنسانية من منظور "هوسرل"	
تمهيد	39
المبحث الأول: العلوم الإنسانية ذاتية وليست مادية	40
المبحث الثاني: دور الذاتية والإدراك	44
المبحث الثالث : قصور العلوم الإنسانية	50
خلاصة الفصل الثاني	57

الفصل الثالث: محاولة هوسرل لتجاوز أزمة العلوم الإنسانية	
تمهيد	59
المبحث الأول: الفينومينولوجيا كمنهج	60
المبحث الثاني: الإدراك الظاهراتي	70
أ- الذاتية	72
ب- القصدية	72
ج- الزمنية	72
د- الترابط مع الجسد	72
المبحث الثالث: إعادة بناء العلوم الإنسانية	75
خلاصة الفصل الثالث	78
الخاتمة	80
قائمة المصادر والمراجع	84

مقدمـــة

مقدمة

تعيش العلوم الإنسانية منذ بداية القرن العشرين أزمة حقيقية تتعلق بأسسها المعرفية ومنهاجها، وبدورها في فهم الإنسان والمجتمع، فقد أدى التأثر المفرط بالنموذج التجريبي الذي تنتهجه العلوم الطبيعية إلى انحراف هذه العلوم عن خصوصيتها، مما جعلها تسعى إلى تقليد الصرامة الكمية على حساب المعنى الذاتي والإنساني، هذا الانزياح نحو النزعة الوضعية، وإن حقق بعض التقدّم على مستوى المنهج، إلا أنه ساهم في خلق فجوة بين العلوم الإنسانية وموضوعها الحقيقي، حيث فإن الحديث عن أزمة العلوم الإنسانية ليس مجرد عودة إلى مشكلة معرفية داخل حقل أكاديمي معيّن، بل هو في العمق مسائلة جذرية لمشروع الحداثة بمجمله، الذي أقام تصوره للعالم على أساس من الفصل بين الذات والموضوع، وإعلاء التجريب والكمية، وإقصاء الوعي والذاتية من دائرة المعقولية العلمية، لقد أسفرت هذه المقاربة عن تطور مذهل في مجال العلوم الطبيعية، لكنها في المقابل تركت العلوم الإنسانية في حالة من التذبذب والقلق المنهجي، إذ حاولت جاهدة أن تحاكي النموذج الوضعي دون أن تلتفت إلى خصوصية موضوعها، الذي هو الإنسان بوصفه كائنا واعيا، يعيش العالم ويمنحه المعنى، وبهذا نشأت أزمة حقيقية داخل هذه العلوم، أزمة طالت أسسها المعرفية، ومناهجها التفسيرية، بل ومكانتها داخل الحقل العلمي العام.

تتجلى هذه الأزمة في انفصال العلوم الإنسانية عن أصلها الفلسفي والوجودي، وفي تراجع قدرتها على فهم الإنسان فهما كليا ومعنويا، مكتفية أحيانا بوصفه وحدة سلوكية أو إحصائية قابلة للقياس.

قد عبر الفيلسوف الألماني "إدموند هوسرل"* عن هذه الأزمة بأسلوب فلسفي عميق في عمله المرجعي "أزمة العلوم الأوروبية والفينومينولوجيا الترانســـندنتالية". فهــو لم يقدم نقدًا خارجيا للعلوم، بل دخل إلى قلب إشكالياتها، متسائلا عن علاقتها بالمعنى والذات، وبالغاية التي تأسست من أجلها. فهو يرى أن العلوم الإنسانية بتقليدها الأعمى للعلوم الوضعية، أفرغت نفسها من بعدها الإنساني، وأضاعت الصلة بين الفهم والمعيش، بين

* وُلد إدموند غوشاف ألبرت هوسرل (Edmund Husserl) يوم 8 أفريل من سنة 1859 في مدينة بروسنتيز(Prossnitz) بمنطقة مورافيا، لأبوين يهوديين، ولكنّه اعتنق المسيحيّة البروتستنتيّة سنة 1887 ، ينظر: عبد الرحمن بدوي، الموسوعة الفلسفية، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، بيروت، ج 2، ط1، 1984، ص ص 538، 539.
تعرّف على فرانتس برنتانو(Franz Brentano) ، وتتلمذ عليه، وتأثّر به فكان توجّهه إلى المباحث الفلسفيّة، وحصلت لديه قناعة أنّ الفلسفة لا تقوم إلا في علم مثالي، مثل الرياضيات. حصل على شهادة الدكتوراه سنة 1883، ودرّس الفلسفة بجامعتي غوتنغن وفرايبورغ الألمانيتين، يُعد بذلك هوسرل فيلسوفًا ألمانيًا بارزًا ومؤسس المنهج الفينومينولوجي (الظاهراتية) في الفلسفة الحديثة. إذ نشأ في بيئة أوروبية شهدت تحولات فكرية وعلمية كبرى في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، حيث كان الإعجاب بالعلوم الطبيعية والإنجازات التقنية في أوجه، ما أثر بشكل كبير على توجهات الفكر الفلسفي في عصره. ينظر: عبد العزيز مباركي وحسن بن عبد الله، الفينومينولوجيا وفلسفة الوعي عند ادموند هوسرل، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، م 12، ع 2، 2020، ص 241. ترك هوسرل مؤلفات عدّة، ظلّ قسم كبير منها مخطوطا لم ينشره في حياته. ومن هذه المؤلّفات نذكر: "فلسفة علم الحساب" (1891)، و"بحوث منطقية" (1900-1901)، و"الفلسفة علما دقيقا" (1911)، و"أفكار: مقدمة عامة لفلسفة ظاهرية خالصة"(1913)، و"المنطق الصوري والمتعالي" (1929)، و"تأملات ديكارتية" (1932)، و"أزمة العلوم الأوروبيّة والظاهريّات المتعالية" (1936)، و"التجربة والحكم " (1939)، وتُوفّي في فرايبورغ (Freiburg) يوم 28 أفريل سنة 1938، ينظر: عبد الرحمن بدوي، الموسوعة الفلسفية، مرجع سابق، ص ص 538، 543.

الظاهرة وتجليها في الوعي، لذلك فإن إعادة الاعتبار الإنسان في هذه العلوم لا يمكن أن يتم إلا بالعودة إلى التجربة الذاتية، بوصفها منبع المعنى، وهو ما حاول هوسرل بلورته في مشروعه الفينومينولوجي.

تكمن أهمية هذا الموضوع في كونه يتناول أزمة العلوم الإنسانية من منظور فلسفي عميق، من خلال تحليل موقف إدموند هوسرل الذي سعى إلى لفت الانتباه إلى الخلل الذي أصاب هذه العلوم في مسارها، في حين يساعد هذا الطرح على فهم مكانة الانسان داخل المشروع العلمي.

كما أن هذا الموضوع يكتسي أهمية خاصة في سياق التحديات المعاصرة التي أصبح فيها الإنسان مهددا بالتشئ والاختزال ضمن معادلات تقنية أو حسابية، من هنا فإن العودة إلى هوسرل ليست مجرد قراءة فلسفية، بل هي محاولة لفهم الأزمة من داخلها، ولمساءلة المناهج التي نعتمدها في دراسة الإنسان.

لقد جاء اختيارنا لهذا الموضوع بدافع عدة اعتبارات، من بينها اهتماماتنا الشخصية بالفينومينولوجيا كالتيار فلسفي يسعى إلى إعادة الاعتبار لتجربة الوعي، وما تحمله من إثراء دلالي يتجاوز التفسير الميكانيكي للظواهر.

كما أن ندرة الدراسات التي تتناول أزمة العلوم الإنسانية من هذا المنظور، في السياق الغربي، دفعتنا إلى الإنخراط في هذا البحث من أجل المساهمة ولو بشكل متواضع، في سد هذه الفجوة المعرفية، ومن الناحية العلمية، فإن حضور هذه الإشكالية في نقاشات الفلسفية المعاصرة، لا سيما ما بعد الحداثة، يجعل منها موضوعًا يستحق التحليل والنقد.

تنطلق هذه الدراسة من إشكالية محورية مفادها: كيف شخّص "إدموند هوسرل" أزمة العلوم الإنسانية؟ وما المخرج الذي يقترحه لتجاوز هذه الأزمة وإعادة تأسيس علم إنساني منسجم مع طبيعته الذاتية؟

من هذه الإشكالية العامة تتفرع تساؤلات فرعية تغطي محاور الدراسة:

- ما هو المفهوم الشائع للعلوم الإنسانية؟ وما هي أزمتها؟ وأين تظهر تجلياتها؟
- كيف نظر "هوسرل" لطبيعة العلوم الإنسانية؟ وكيف حاول تجاوز أزمتها؟
- كيف وظف الفينومينولوجيا كمنهج حاول به تجاوز أزمة العلوم الإنسانية؟

لمعالجة هذه الإشكالية، سعت هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف، يأتي في مقدّمتها فهم وتحليل مفهوم الأزمة كما يطرحه "هوسرل" داخل الحقل الإنساني، والبحث في الخلفيات التاريخية والمعرفية التي انتجت هذا الوضع.

كما تهدف إلى الكشف عن طبيعة العلوم الإنسانية كما يفهمها " هوسرل "، ومحاولة إبراز العناصر الذاتية التي يرى أنها جوهرية فيها.

إلى جانب ذلك، تسعى هذه الدراسة إلى عرض وتقييم المشروع الفينومينولوجي بوصفه مقترحا فلسفيا لتجاوز هذه الأزمة، بما يحمله من دعوة إلى للعودة إلى الذات، والوعي، والمعنى كمُرتكزات أساسية للعلم.

اعتمدنا في هذا البحث على مناهج متنوعة لمعالجة هذه الإشكالية في ثنايا هذه الخطة، لفصولها ومباحثها، تمثلت في **المنهج التحليلي** حيث توجهنا إلى النصوص بالقراءة والتحليل لاستخراج المفاهيم الضرورية، بينما في **المنهج التاريخي** فقد ارتحلنا في أفق التحولات الكبرى التي شهدتها فلسفة الحداثة، في خطوطها ومذاهبها المعروفة، نبحث عن مكمن التغير والحول الذي حدث في منظوراتها ومناهجها، بينما **المنهج النقدي** فهو ضروري لأنه من صميم روح الفلسفة نحتاجه كلما وقفنا على فكرة أو نظرية وقفة تقييمية، في حين تلج **المقارنة** بعض محطات بحثنا حينما تكون المقارنة مفتوحة.

كما تم الاستعانة بعدد من الشروح والدراسات الأكاديمية التي تناولت فكرة " هوسرل" وظاهريته، بالإضافة إلى مراجع عربية ناقشت علاقة الفينومينولوجيا بالعلوم الإنسانية.

قد واجهتنا بعض الصعوبات، من أهمها أننا لم نجد الوقت الكافي لنطلع على كل الترجمات والأعمال المتعلقة بما قدمه هوسرل في هذا الموضوع، بالإضافة إلى الحاجة إلى التعمق في مصطلحات فلسفية دقيقة تتطلب الكثير من الدقة في الفهم والتحليل.

أما عن هيكلة هذا البحث، فقد تم تنظيمها وفق خطة منطقية تبدأ **بمقدمة** تمّهد للدراسة عبر عرض السياق العام للموضوع، وتُبيّن أهميته وأسباب اختياره، ثم تُطرح الإشكالية وتساؤلاتها، مع تحديد الأهداف والمنهجية والصعوبات، وتقديم نظرة موجزة عن الخطة المتبعة.

يليها **الفصل الأول**، والذي خُصّص لتحليل مفهوم أزمة العلوم الإنسانية، من خلال الوقوف على أسبابها وتجلياتها.

أما **الفصل الثاني**، فقد تناول طبيعة العلوم الإنسانية عند "هوسرل"، ودور الذاتية والإدراك، مع نقده للانجرار نحو النزعة التجريبية.

بينما ركّز **الفصل الثالث** على الفينومينولوجيا بوصفها أفقاَ لتجاوز هذه الأزمة، من خلال إعادة بناء العلوم الإنسانية على أساس ظاهراتي ذاتي، وتُختتم المذكرة **بخاتمة** تتضمن عرضًا لأهم النتائج التي تم التوصّل إليها، وتفتح المجال أمام أفق البحث المستقبلي في هذا المجال.

وهكذا، فإن هذه الدراسة لا تدّعي الإحاطة الكاملة بكل تفاصيل فكر "هوسرل" أو أزمة العلوم الإنسانية، لكنها تسعى بجدية إلى الإسهام في إعادة التفكير في هذا الحقل المعرفي، على ضوء مقترح فلسفي عميق قد يُعيننا في فهم الإنسان، لا كمجرد موضوع للدراسة، بل كذات تمنح الوجود معناها وقيمتها.

الفصل الأول

أزمة العلوم الإنسانية

(مفهومها، أسبابها وتجلياتها)

المبحث الأول: مفهوم أزمة العلوم الإنسانية

المبحث الثاني: أسباب الأزمة الهوسرلية

المبحث الثالث: تجلياتها (انفصال العلوم الإنسانية)

تمهيد:

هوسرل يرى أن الإنسان الحديث يواجه أزمة عميقة تتمثل في فقدان المعنى والهدف في ظل هيمنة العلوم الطبيعية والتقنية على الفكر والثقافة، إذ يعتبر هوسرل أن هذه الأزمة ليست مجرد أزمة معرفية، بل أزمة تمس كينونة الإنسان وعلاقته بالعالم، كما أدت هذه الأخيرة تحت سيطرة العقل العلمي إلى إهمال الأسئلة الوجودية الكبرى حول المعنى والقيم، ومن هنا دعا هوسرل إلى العودة إلى الذات الإنسانية عبر المنهج الفينومينولوجي، لإعادة تأسيس العلاقة بين الإنسان والعالم واستعادة المعنى المفقود في الحياة الإنسانية، من هذا المنطلق نطرح التساؤلات التالية: ما هو مفهوم أزمة العلوم الإنسانية كما قدمها إدموند هوسرل؟ وما هي أبرز الأسباب والتجليات التي تعكس هذه الأزمة؟

المبحث الأول: مفهوم أزمة العلوم الإنسانية

تعتبر العلوم الإنسانية* من أهم الفروع التي تهتم بدراسة الإنسان من جوانب عديدة، مثل النفس والمجتمع والثقافة والتاريخ، وقد جاءت هذه العلوم استجابة لحاجة الإنسان إلى فهم ذاته وفهم العالم الذي يعيش فيه.

بذلك فهي تعكس اهتمامه العميق بكل ما يتعلق به ككائن عاقل واجتماعي، ومع ذلك فإن مسار تطورها لم يكن خاليا من التعقيدات والإشكالات، حيث أصبحت هذه العلوم تواجه تحديات عميقة على جميع مستوياتها، مما جعل العديد من المفكرين يتحدثون عن أزمة حقيقية تمر بها.

"منذ الربع الثاني من القرن العشرين، كان قد اتضح تماما أن الدراسات الإنسانية الإخبارية قد شقت لنفسها طريق العلم بالمعنى الدقيق، وقطعت منه الشوط الكبير، واستقام عودها، وهذا النضج اللافت جعلها في منزلة تؤهلها للمقارنة الصريحة مع العلوم الطبيعية، ليتضح عجزها من تحقيق ما أنجزته العلوم الطبيعية من تقدم، وبلغ الوعي بهذا التخلف النسبي حدا جعل الفكر الأوروبي آنذاك يسوده ما يعرف باسم أزمة العلوم الإنسانية، أو ما يعرف عنها أزمة العلوم الأوروبية خصيصا كما نص عنها كتاب هوسرل" [1].

بمعنى أن العلوم الإنسانية سعت إلى اكتساب صفة العلمية من خلال تقليد مناهج العلوم الطبيعية، وبالرغم ما حققته من تقدم إلا أنها عجزت عن تحقيق نفس النتائج مما كشف محدوديتها في فهم الإنسان ككائن ذاتي ومعقد، وهذا الفشل النسبي لم يكن مجرد مسألة منهج، بل عكس أزمة أعمق تتعلق بفقدان المعنى والغائية في المشروع العلمي الأوروبي نفسه، وهو ما وضعه هوسرل حين اعتبر أن أزمة العلوم الإنسانية تمثل وجها من أوجه أزمة الحضارة الأوروبية بأكملها.

* العلوم الإنسانية: العلوم الإنسانية وهي تعبير حديث لكنه يعم أكثر فأكثر. يدل على ما كان متفقا من قبل على تسميته العلوم الأخلاقية. يزداد تشديد هذا التعبير على أسيمات ممكن رصدها خارجيا بطريقة تصرف البشر وسلوكهم فرديا أو جماعيا. وتجدر المراحضة أن العلوم الإنسانية ليست كل العلوم المختصة بالإنسان مثلا لا تسمى بهذا الاسم علوم تشريح أو فيزيولوجيا بشرية إنها العلوم التي تميز الإنسان في مقابل بقية العلوم الطبيعية. ينظر: أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تر: خليل أحمد خليل، عويدات للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، م3، ص 1254.

[1] يمنى طريف الخولي، مشكلة العلوم الإنسانية – تقنينها وإمكانية حلها –، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، د.ط، د.س، ص 40.

لذلك وجب علينا التوقف عند مفهوم الأزمة لغويا تعني الشدة والضيق والانقباض في الأمور، وتُطلق على كل موقف حرج أو صعب يمر به الإنسان أو الجماعة، ففي اللغة العربية، يُقال "أَزَمَ الأمرُ يأزِمُ أَزْمًا" أي اشتدَّ وضاق، و"الأزمة" هي الشدة في الشيء، وتُستعمل للدلالة على المنعطفات الحرجة أو الأوقات الصعبة التي تتطلب حلا أو قرارا حاسما [1].

أما الأزمة الإنسانية عند إدموند هوسرل ترتبط ارتباطا وثيقا بما سماه "أزمة العلوم الأوروبية" وتنعكس في فقدان الإنسان للمعنى والهدف في ظل التقدم العلمي والتقني الحديث، تناول هوسرل هذه الأزمة بشكل معمق في كتابه "أزمة العلوم الأوروبية والفينومينولوجيا الترنسندنتالية"، حيث رأى أن العلوم الحديثة، رغم إنجازاتها الهائلة، فقدت صلتها بجذورها الإنسانية والوجودية. [2]

يُعد بذلك مفهوم الأزمة عند إدموند هوسرل من أكثر المفاهيم عمقا وإثارة في الفلسفة المعاصرة، إذ لم ينظر إليه هوسرل كحالة عابرة أو ظرف طارئ، بل اعتبره وضعا بنيويا يعكس مأزق الحضارة الأوروبية الحديثة في علاقتها بالعلم، والثقافة، والإنسانية، كما يرى هوسرل أن الأزمة تتجلى أولا في ميدان العلوم، حيث فقدت العلوم الحديثة صلتها بجذورها الفلسفية والروحية، وأصبحت تركز على الجوانب التقنية والكمية للعالم، متجاهلة الأسئلة الجوهرية المتعلقة بالمعنى والغاية والقيم [3].

لقد أدى هذا الانفصال إلى نوع من التشييء، حيث أصبح الإنسان نفسه موضوعاً للدراسة العلمية، وفُقدت بذلك العلاقة الحية بين الذات والعالم، ويذهب هوسرل إلى أن العلوم الحديثة، رغم إنجازاتها، باتت عاجزة عن الإجابة عن الأسئلة الوجودية الكبرى التي تهم الإنسان، مثل: ما معنى الوجود؟ وما الغاية من الحياة؟ وكيف

[1] إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، مصر، 1990، ص 15.

[2] هوسرل إدموند، أزمة العلوم الأوروبية والفنومينولوجيا الترنسندنتالية، تر: إسماعيل المصدق، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص 41.

[3] Feest, Uljana. "Husserl's Crisis as a crisis of psychology ".*Studies in History and Philosophy of Science Part C: Studies in History and Philosophy of Biological and Biomedical Sciences*.503-493 :(2012) 43.2 , p. 494.

يمكن للإنسان أن يعيش حياة أصيلة؟ لقد تحولت العلوم إلى أدوات تقنية وانفصلت عن "العالم المعيش"، أي ذلك العالم الذي يشكل الخلفية الأصلية لكل تجربة إنسانية، ما أدى إلى اغتراب الإنسان عن ذاته وعن محيطه [1].

يُرجع هوسرل جذور هذه الأزمة إلى الفلسفة الديكارتية، خاصةً عندما رفع ديكارت الذات إلى مرتبة التعالي، حيث انتهى إلى الكوجيتو كيقين أولي: "أنا أفكر، إذًا أنا موجود". غير أن هذه الذات التي رفعها ديكارت كانت متعالية عن العالم، مقطوعة عن الواقع المحسوس، لا ترتبط بالموجودات، ولا تتفاعل مع التجربة والواقع الإنساني المعاش. هذا الانفصال الذي أحدثه ديكارت بين الذات والعالم، جعل العلوم تسير في نفس الاتجاه: تعلو، تتجرد، وتفصل نفسها عن واقع الإنسان واحتياجاته، لتدخل في نوع من النسق المغلق القائم على التجريد والتقعيد النظري.

يضرب هوسرل مثالا على ذلك في الرياضيات، هذه الأخيرة التي بدأت بتصورات حسية واقعية، كما نجد عند إقليدس، حين كان المكان يُفهم بوصفه مستوي ملموس يخضع للملاحظة والتجربة. كان هذا التصور مستمدا من خبرة الإنسان الحسية، من العالم المحيط به، لكن سرعان ما ابتعدت الرياضيات عن هذا الأصل، وانطلقت في مسارٍ تجريدي صرف، فأصبحت تعيش داخل ذاتها، داخل نسقها الخاص، دون أن تعود إلى الإنسان وإلى واقعه. لم تعد تسأل عن الغاية التي من أجلها وُجدت، وهي خدمة الإنسان، بل أصبحت غاية في ذاتها، مما أفقدها المعنى الأصلي.

بهذا، فإن مشكلة الرياضيات، وكذلك بقية العلوم، لا تكمن فقط في تعاليها النظري، بل في انقطاعها عن الغاية التي تأسست لأجلها وهو الإنسان. وبهذا الابتعاد، انطلقت العلوم في مسار جعلها لا تبالي لا بالإنسان، ولا بذوقه، ولا بحسه، ولا بخبرته، ولا بمعيشه. لم تعد هذه العلوم تُعنى بالوجود الإنساني الحي، بل أصبحت تبحث في أشياء منغلقة لا تمت لليومي ولا للوجود المعيشي بصلة.

[1] عبد الحفيظ البار، محاضرات على اليتيوب، https://www.youtube.com/watch?v=OoG7wXScQTI&t=11s، تاريخ الولوج: 01-05-2025 على الساعة 20:00.

وهذا الاغتراب لا يمكن فهمه إلا من خلال العودة إلى تلك اللحظة المؤسسة، لحظة الفصل الديكارتي بين الذات والعالم، هوسرل يرى أن هذا الفصل لم يكن مجرد خطأ فلسفي، بل كان بداية التيه التاريخي للإنسان الحديث، ولهذا، فإن مهمته كفيلسوف ليست فقط نقد هذا الفصل، بل تجاوزه، وتصحيح مساره، ولهذا، اقترح هوسرل ضرورة العودة إلى الذات، لكن ليس الذات المتعالية كما فهمها ديكارت، بل الذات العيانية، المتجسدة، المتصلة بالعالم والموجودات، التي تعيش وتدرك وتحس وتعبّر [1].

لا تقتصر الأزمة عند هوسرل على العلوم فقط، بل تمتد إلى مجمل الثقافة الأوروبية مما أدى إلى ظهور نوع من الاغتراب الثقافي، حيث أصبح الإنسان المعاصر يعيش في عالم يفتقر إلى المعنى، حيث تهيمن النسبية والتشظي، وتنهار المرجعيات التقليدية التي كانت تمنح الوجود الإنساني تماسكه وغايته، ويرى هوسرل أن هذه الأزمة تعكس فقدان المشروع الفلسفي الأوروبي لرسالته الأصلية، أي البحث عن الحقيقة والمعنى، وأن الفلسفة نفسها أصبحت مهددة بفقدان هويتها نتيجة هيمنة النزعة الوضعية والتقنية على الفكر والثقافة [2].

من أعمق أبعاد الأزمة عند هوسرل، تبرز أزمة الهوية والوعي، حيث يعيش الفرد الأوروبي الحديث حالة من التشتت وفقدان اليقين، نتيجة انهيار المرجعيات الأخلاقية والدينية، وتعدد أنماط التمثيل الثقافي والاجتماعي للهوية، كما يرى هوسرل أن هذه الأزمة ليست القدر المحتم علينا، بل هي نتيجة لانحراف الفكر الأوروبي عن مساره الأصلي، حيث تحولت العقلانية إلى عقلانية تقنية وأداتية وفقدت بعدها الوجودي والروحي.

بهذا التصور، لا تكون أزمة العلوم أزمة معرفية فقط، بل أزمة وجودية، أزمة إنسان غُرّب عن ذاته وعن عالمه، والرد على هذه الأزمة لا يكون إلا باستعادة الذات لحضورها، وبنقد الأسس التي بُنيت عليها الحداثة

[1] عبد الحفيظ البار، محاضرات على اليوتيوب، مرجع سابق.

[2] Díaz, Por Jesús M. "Husserl y la Crisis de la Cultura ".*The Paideia Archive: Twentieth World Congress of Philosophy* .Vol. 6. 1998, p. 95.

العلمية. هذا هو جوهر ما طرحه هوسرل في كتابه العظيم "أزمة العلوم الأوروبية"، حيث حاول أن يعيد للعلوم بعدها الإنساني، وأن ينقذ الذات من التيه الذي ألقت فيه نفسها منذ أن قطعت صلتها بالعالم [1].

في ضوء ذلك، يصبح مفهوم الأزمة عند هوسرل سؤالا فلسفيا حول إمكان استعادة المعنى في عصر التشييء والاغتراب، ودعوة إلى مراجعة الأسس والعودة إلى الأصول وإعادة تأسيس العلاقة بين الذات والعالم على أسس أكثر إنسانية وأصالة، فالأزمة ليست نهاية، بل هي فرصة لإعادة التفكير في شروط إمكان المعرفة، وإعادة بناء مشروع فلسفي يربط بين العقلانية والوجود الإنساني في أعمق معانيه.

لهذا فإن أزمة العلوم على وجه الدقة تنحصر في أزمة الأسس، فعندما نطرح أسئلة على العلوم، فإننا لا نشكك في مشروعها العلمي بحد ذاته، بل نتساءل عن الأسس التي قامت عليها فالمساءلة لا تمس علمية العلوم، وإنما تنبع من شعور بأزمة تجعلنا نعيد النظر في جذورها ومنطلقاتها الأولى [2]، بمعنى أن الأزمة لا تعني بالضرورة رفض العلوم أو إنكار قيمتها، بل هي لحظات تدفعنا إلى إعادة التفكير في الأسس التي قامت عليها مثل نظرتها إلى الإنسان ومنهجها في المعرفة وعلاقتها بالحقيقة، فبدلا من رفض العلم نحاول فهم أين بدأ الخلل في تصوره للواقع؟ ولماذا لم يعد قادرا على تقديم إجابات وجودية للإنسان المعاصر؟ وهذا هو ما فعله هوسرل حين أعاد مساءلة الأسس الفلسفية للعلوم الأوروبية.

حسب هوسرل، هذه أسس غير متينة تفتقر إلى العمق الفلسفي ما يجعلها عرضة للإنهيار وتختلف طبيعة هذه الأزمة من علم إلى آخر، فلكل حقل معرفي خصوصيته ومنهجه وبالتالي، فإن أزمته تتخذ شكل خاص به ولهذا فإن أزمة العلوم من منظور هوسرل ليست أزمة واحدة موحدة، فهي أزمة مركبة تتجلى في أشكال متعددة ما بين انفصال عن الفلسفة وتشيء للإنسان وانبهاره بالأساليب الوضعية دون مساءلة نقدية.

[1] عبد الحفيظ البار، محاضرات على اليوتيوب، https://www.youtube.com/watch?v=OoG7wXScQTI&t=11s، تاريخ الولوج: 01-05-2025 على الساعة 20:00.

[2] سليمة قايد، الأبعاد الإنسانية لأزمة العلوم الأوروبية عند هوسرل، مجلد دراسات التنمية والمجتمع، م 07، ع 03، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، 2022، ص 49.

أدى هذا إلى اختزال الأسس التي تقوم عليها العلوم إلى أزمة أعمق وأكثر خطورة، وهي ما تعرف بأزمة المعنى، وتعني معنى العلم ذاته، فهذه الأزمة لا تتعلق فقط بمضمون العلم وإنما بطبيعته ودلالته نفسها، حيث بدأ يتشكل تصور جديد للعلم باعتباره معرفة موضوعية خالصة، وتكرس هذا المعنى بشكل كبير في العصر الحديث حيث أطلق عليه هوسرل "النزعة الموضوعانية". والتي تعني عند هوسرل النظر إلى كل شيء في العالم كموضوع، أي كواقعة حيث تعتبر "أزمة العلوم هي أولا وقبل كل شيء أزمة المعنى، وعند هوسرل هو المؤسس للعلوم الحديثة، والذي ضاع مع التطورات العلمية، خاصة بعد ظهور العلم الغاليلي" [1]. بمعنى أن هذه النزعة اختزلت كل ما هو موجود إلى واقعة، فاختصرت العالم بأسره إلى وقائع، أي أن كل ما في العالم ينظر إليه باعتباره شيء خارجي قائم بذاته، مثل الأشياء المادية التي تعتبر كوقائع قابلة للقياس والملاحظة دون اعتبار لوعي الإنسان بها أو لمعناها الذاتي يتوضح لنا أن هوسرل يرى أن هذه النزعة قد قلصت من شأن الإنسان كذات فاعلة وواعية للمعنى وأخرجته من مركز العملية المعرفية، مما جعل العلم يفقد علاقته بجوهر الإنسان والوجودي فحين يتحول كل شيء إلى موضوع للدراسة بما في ذلك الإنسان ذاته الذي يفقد البعد الأهم في العلم وهو علاقته بالذاتية بالروح وبالسؤال عن المعنى، من هنا برزت الحاجة الملحة في نظر هوسرل إلى إعادة التفكير في مشروع العلم الحديث بمجمله والعودة إلى تأسيسه على أسس ظاهراتية تعيد للذات مكانتها المركزية.

كذلك قد وضح لنا هوسرل مفهوم الأزمة قائلا "إن أزمة علم ما لا تعني سوى أن علميته الحقة أي الكيفية التي حدد بها مهمته، وأنشأ بها المنهجية الكفيلة بإنجاز هذه المهمة بأكملها أصبحت موضع سؤال" [2] . وبمعنى أن الأزمة لا تتعلق فقط بالمنهج الذي تتبعه العلوم، وإنما تمتد أيضا إلى موضوعها لأن كلاهما يشكلان أساس كل حقل معرفي يرغب في أن يكون علم بالمعنى الدقيق، فإن اختل المنهج أي الطريقة التي تبحث بها أو أصبح الموضوع غير واضح أو غير مناسب، فإن ذلك يؤدي إلى زعزعة مكانة هذا الحقل داخل المجال

[1] سليمة قايد، الأبعاد الإنسانية لأزمة العلوم الأوروبية عند هوسرل، مرجع سابق، ص 49.

[2] محمد بن سباع، المنهج الفينومينولوجي، المبادئ والتطبيقات، مجلة العلوم الأنسانية، م أ، ع 42، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة 2، الجزائر، 2014، ص 148.

العلمي، وهذا ما أشار إليه هوسرل حين اعتبر أن أزمة العلوم الإنسانية هي في جوهرها أزمة مزدوجة، أزمة في كيفية إدراك موضوع الإنسان، وأزمة في الطرق التي تعتمدها لفهمه المنهج والموضوع يشكلان معا معيار العلمية وأي خلل فيهما يجعل العلم يفقد بوصلته ويقع في أزمة حقيقية.

لهذا يمكن القول أن هذه الأزمة كانت نتيجة ابتعاد الإنسان عن الأرضية الأصلية التي نشأ منها العلم، أي أن جذوره الأولى التي ربطته بالحياة اليومية والمعنى الإنساني، فالعلم لم ينشأ في فراغ بل تأسس انطلاقا من احتياجات الإنسان وتفاعله مع العالم ،لكن بعدد ذلك بدأ ينفصل عن هذه الجذور وأصبح يتوجه نحو التجريد والنزعة الوضعية متجاهلا البعد الذاتي والوجودي، وهذا ما أشار إليه هوسرل، حيث يرى أن انزياح العلم عن أصله الإنساني أدى إلى فقدان معناه العميق وظهور أزمة حقيقة في صميم العلم نفسه لا على مستوى نتائجه فقط، بل على مستوى علاقته بالإنسان والعالم [1].

من خلال ما سبق يتبين لنا أن أزمة العلوم الإنسانية كما فهمها إدموند هوسرل، ليست مجرد أزمة نتائج أو تقنيات، بل هي أزمة في الأسس التي تقوم عليها، فهذه العلوم سواء من حيث الموضوع أو المنهج، فقد أدى إلى ابتعادها عن بعدها الإنساني والذاتي ومحاكاتها المفرطة للنموذج العلمي الطبيعي إلى فقدانها لمعناها الحقيقي، مما استدعى مساءلتها من جديد ومحاولة إعادة بناءها على أسس تتلاءم مع طبيعة الإنسان ككائن واع وعاقل.

[1] يوسف بلعربي، عبد العزيز مباركي، الفينومينولجيا والسينما، مجلة آفاق سينمائية، م 07، ع 01، مخبر الفينومينولجيا وتطبيقاتها، جامعة تلمسان، الجزائر، 2020، ص 188.

المبحث الثاني: أسباب الأزمة الهوسرلية

شهدت العلوم الإنسانية في مطلع القرن العشرين أزمة عميقة أثارت انتباه الفيلسوف إدموند هوسرل، الذي حاول تشخيص جذورها واقتراح سبل تجاوزها، لم تكن هذه الأزمة وليدة ظرف عابر، بل نتاج مسار طويل من التحولات المنهجية والفكرية التي أثرت في طبيعة البحث الإنساني وغاياته، فقد أدى تأثر العلوم الإنسانية بالنموذج الوضعي السائد في العلوم الطبيعية إلى إهمال خصوصية الظاهرة الإنسانية، وتهميش البعد الذاتي والمعيشي لصالح التفسير الكمي والتجريبي [1]، أمام هذا الواقع، برزت الحاجة إلى مراجعة نقدية للأسس التي قامت عليها هذه العلوم، وفهم الأسباب العميقة التي أفضت إلى أزمتها، تمهيدا لإعادة بنائها على أسس أكثر اتصالاً بتجربة الإنسان ومعناه في العالم، كما أشار إدموند هوسرل إلى أن هذه الأزمة تكمن في انفصالها عن "عالم الحياة " (Lebenswelt) [2]، أي العالم كما يُعاش ويُختبر ذاتيا، مما أدى إلى إفراغها من المعنى والإنسان من مركزيته.

أدى تبني العلوم الإنسانية للمنهجية الكمية والتجريبية المستوحاة من العلوم الطبيعية إلى اختزال الإنسان إلى "ظاهرة" تُقاس بمعايير خارجية، متجاهلة البُعد الذاتي والمعنوي للتجربة الإنسانية، والمفكرون الظاهراتيون ينتقدون الوضعية* لأنها تسلم بوجود حقائق موضوعية مستقلة عن الوعي الفردي، وملخص أفكار هذه المدرسة هي أنها تهتم بالوعي الإنساني باعتباره الطريق الموصل إلى فهم الحقائق الاجتماعية، وخاصة بالطريقة التي يفكر بها الإنسان في الخبرة التي يعيشها، أي كيف يشعر الإنسان بوعيه[3] .

[1] عرفه عبد الرحمن أحمد عبد الرحمن النادي، ادموند هوسرل والمنهج الفنومينولوجي "فلسفة الظواهر"، مجلة كلية العلوم الإسلامية، ع 34، 2018، ص 2554.

[2] Edmund Husserl, The Crisis of European Sciences and Transcendental Phenomenology « An Introduction to Phenomenology », Translated: David Carr, 1970, p 34-36.

* الوضعية (Positivism) هي مدرسة فلسفية تركز على العلم والتجربة كأساس للمعرفة، وتعتبر أن المعرفة الحقيقية تأتي من الملاحظة والقياس. الظاهراتية (Phenomenology)هي مدرسة فلسفية تركز على دراسة الوعي والخبرة الذاتية، وتؤمن بأهمية فهم الظاهرة كما هي كما تعيشها الفرد.

[3] شارلين هس-بيبر، وباتريشيا ليفي، البحوث الكيفية في العلوم الإجتماعية، تر: هناء الجوهري، القاهرة، مصر، المركز القومي للترجمة، ط1، 2011، ص69.

كما ركزت النظريات التقليدية على تفسير السلوك عبر قوانين سببية، بينما أغفلت تحليل "كيف" يمنح الإنسان معنى لعالمه، وهو ما يُمثل جوهر المشروع الهوسرلي [1]، حيث تتجلى الأسباب المنهجية للأزمة التي أشار إليها إدموند هوسرل في العلوم الإنسانية في عدة جوانب رئيسية مثل هيمنة النموذج الوضعي (البوزيتيفي) الذي يبني العلوم الإنسانية وفق المناهج الكمية والتجريبية المستوحاة من العلوم الطبيعية، مما أدى إلى اختزال الظاهرة الإنسانية في قياسات خارجية، وتجاهل البُعد الذاتي والمعنوي للتجربة الإنسانية.

بذلك تكمن الأزمة المنهجية في العلوم الإنسانية – وفقا للهوسرلية – في انفصالها عن الواقع المعيش، واعتمادها على نماذج وضعية أو متحيزة، وغياب النقد الجذري للمصادر والمناهج[2].

من ناحية أخرى، تعاني العلوم الإنسانية من ازدواجية بين محاولة استيعاب المناهج الغربية الحديثة وضرورة مراعاة الخصوصية الثقافية، مما يؤدي إلى انفصالها عن واقع المجتمعات، كما تُواجه هذه العلوم الإنسانية كذلك تساؤلات حول "علميتها" ومدى قدرتها على تقديم حلول عملية[3].

إن التوقف عند مفهوم أزمة العلوم الإنسانية يقودنا بالضرورة إلى النظر في الخلفيات التي أدت إلى نشأتها وتطورها، فقد مرت هذه العلوم بمراحل من التشكل والتطور، غير أن محاولتها المتكررة لمحاكاة النموذج العلمي الطبيعي أفقدتها توازنها، وأدخلتها في مسار ابتعد تدريجيا عن طبيعتها الأصلية [4].

كما ساهمت التحولات الفلسفية الكبرى، وخصوصا مع صعود النزعة الوضعية والعقلانية التقنية، في زعزعة أسسها وتقليص دور الذات الإنسانية فيها، وعليه فإن أزمة العلوم الإنسانية جاءت نتيجة تراكمات معرفية وتاريخية معقدة جعلتها تفقد القدرة على تحقيق فهم شامل للإنسان، بوصفه كائن واعي وفعال في العالم.

[1] هوسرل إدموند، مباحث منطقية "عناصر إيضاح فيمياء المعرفة"، الجزء 2، تر: موسى وهبه، المركز الثقافي العربي (كلمة)، ط1، 2010، ص ص 90،91.

[2] أحمد ماريف، إدموند هوسرل، التأسيس لفكرة الفينومينولوجيا وإسهاماتها الهرمينوطيقية، مجلة مقاربات فلسفية، م 8، ا 2، 2021، ص ص 224،225.

[3] وليد عبد جبر الخفاجي، العلوم الإنسانية في العالم العربي بين التنظير والتطبيق – علم الاجتماع انموذجاً- ، م 10، ع 6،2017، ص 681.

[4] عبد القادر بخوش، إشكاليات منهجية في الدراسات الغربية لعلم مقارنة الأديان، مجلة الدراسات العقدية ومقارنة الأديان، م 7، ع 1، 2017، ص 434.

يعتبر هوسرل أن سبب الأزمة في العلوم الإنسانية يرجع أساسا إلى اعتمادها نفس المناهج التي تستخدمها العلوم الطبيعية، وهو ما أدى إلى تهميش البعد الإنساني في هذه العلوم، فبدل أن تهتم بالإنسان ككائن عاقل وواعي، أصبحت تعامله وكأنه موضوع مادي، ورغم نجاح المنهج العلمي في مجال العلوم الوضعية، إلا أنه نقله إلى مجالات أخرى مثل الميتافيزيقا والأخلاق تحقق النتائج المرجوة بل زاد من حدة الأزمة [1].

بمعنى أن العلوم الإنسانية بدأت تقلد العلوم الطبيعية في طريقة عملها، خاصة في استخدام نفس المناهج الصارمة التي تهتم فقط بالملاحظة والقياس والتجريب، لكن المشكلة هنا أن هذه المناهج تناسب دراسة الأشياء المادية، وليس الإنسان الذي يتميز بالوعي والذاتية، وعندما حاولت العلوم الإنسانية أن تطبق هذه المناهج فقدت معناها الحقيقي، لأنها تجاهلت الجوانب الداخلية للإنسان مثال ذلك التفكير كذلك المشاعر والمعنى، لهذا السبب يرى "هوسل" أن هذه المحاولة كانت السبب في دخول العلوم الإنسانية في أزمة لأنها أصبحت تبتعد عن هدفها الأساسي وهو فهم الإنسان ككائن مميز عن الأشياء .

كذلك أصبحت العلوم الإنسانية تفسر الظواهر المختلفة اعتمادا على المنهج التجريبي فقط، متجاهلة بذلك الجوانب الداخلية للإنسان مثل وعيه وقصديته، حيث أصبح الإنسان مجرد شيء خارجي يمكن ملاحظته وقياسه، لا ككائن يشعر ويفكر وهي ما يقوم به [2].

أي أن العلوم الإنسانية تنظر للظواهر الإنسانية بنفس الطريقة التي تنظر بها العلوم الطبيعية للأشياء المادية، يعني أنها هنا تحلل وتفسر كل شيء من خلال التجربة والملاحظة فقط، لكن الإنسان ليس مجرد شيء مادي، يمكن فهمه بشكل كامل دون الانتباه إلى نواياه وإدراكه لما يفعله وهذا ما يضعف قيمة هذه العلوم عندما تقلد العلوم الطبيعية.

[1] هوسرل إدموند، أزمة العلوم الأوروبية والفنومينولوجيا الترنسندنتالية، مصدر سابق، ص 75.

[2] سماح محمد رافع، الفينومينولوجيا عند هوسرل دراسة نقدية في التجديد الفلسفي المعاصر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1991، ص 118.

بذلك هو ليس مجرد موضوع خارجي، بل هو ذات واعية تتفاعل مع العالم من حولها بطريقة مختلفة تماما، كذلك من بين الأسباب التي أدت إلى ظهور أزمة العلوم الإنسانية، سيطرة الأزمة الموضوعانية التي ترد على كل شيء إلى واقعة، وهو ما أدى إلى إهمال دور الذات.

"هذا الخطر الوضعي الذي تتعرض له العلوم لديه نتيجة ... العمى إزاء السلطة الذاتية نفسها، في الحقيقة إن الفكرة الرئيسية لهوسرل – والتي تكون المسؤولة بالنسبة إليه عن هذه الأزمة التي تمر بها العلوم حاليا – هي فكرة إهمال العلماء لذاتيتهم الخاصة التي تعمل في سيرهم، أي عيب في تأملية بحثهم، ويصدر الغموض الذي تتحرك فيه العلوم واليوم إذن، عن غياب الاهتمام الموجه إلى "لغز الذاتية" التي يعمل فيها " [1].

أي أن هوسرل يوضح أن أحد أهم أسباب أزمة العلوم الأوروبية هو الاهتمام بالواقع كذلك تركيز العلماء على دراسة الظواهر والوقائع الخارجية أدى إلى إعقال الذات تماما، مع أنها الأساس الجوهري في العلوم الإنسانية، وهي الفاعل الحقيقي الذي يصنع هذه العلوم ويفهمها، وعند إغفالهم عنها يصبح العلم ناقص وهو ما ينبه له هوسرل، إذ لا يمكن بناء علم إنساني حقيقي دون الاعتراف بدور الذات الواعية في تشكيل المعرفة.

كذلك ظهور علوم أخرى تهتم بدراسة العالم الإنساني والتاريخي، وقد اعتمدت هذه العلوم في دراستها على مناهج خاصة بها تتماشى مع طبيعة موضوعها، لكن هذه المناهج رغم خصوصيتها فهي قريبة من مناهج العلوم الطبيعية التي تقوم على الوصف والملاحظة وهذا التشابه أدى إلى الاعتقاد بأن كلا النوعين من العلوم ينطلقان من مرحلة أولى تعتمد على الوصف، قبل أن يصلا إلى مرحلة أعمق من التحليل والتفسير المنهجي [2].

أي أن "هوسرل " يعتبر أن بعض العلوم التي تهتم بدراسة الظواهر الاجتماعية والتاريخية قد تطورت في شكل فروع مستقلة نجد مثلا التاريخ، كذلك علم الاجتماع وهي تتعامل مع موضوعات واقعية ملموسة لهذا سميت بعلوم

[1] سليمة قايد، الأبعاد الإنسانية لأزمة العلوم الإنسانية عند إدموند هوسرل، مرجع سابق، ص 49.

[2] هوسرل إدموند، أزمة العلوم الأوروبية والفينومينولوجيا الترنستندالية، مصدر سابق، ص 449.

عينية، وقد اعتمدت على مناهج خاصة بها تتناسب مع طبيعة العالم الإنساني الذي تدرسه، وهو عالم معقد ومتداخل، لأن المناهج التي اعتمدها تشبه مناهج العلوم الطبيعية.

يظهر ذلك جليا في اعتمادها على الوصف والملاحظة في أولى مراحلها الطبيعية، حيث تبدأ بتفسير الظواهر تمهيدا للوصول إلى تفسير دقيق لها، لكن هذه النظرة تغفل خصوصية الظاهرة الإنسانية التي لا يمكن دراستها بنفس الأدوات والمعايير التي تطبق في العلوم التجريبية، لهذا وجب علينا التمييز بين المناهج، وعدم إخضاع نموذج العلوم الطبيعية على العلوم الإنسانية بشكل مباشر.

إذن نستنتج أن طبيعة الظواهر الإنسانية، وما تتميز به من تعقيد وارتباط بالسياق الثقافي والتاريخي، تتطلب اعتماد مناهج خاصة تراعي هذه الخصوصية، ومن هنا يتبين لنا أن جوهر الإشكال لا يمكن في النتائج أو المحتوى، بل في الطريقة التي نعالج بها هذه الظواهر فالمنهج المعتمد في دراسة الإنسان ومجتمعه هو الذي يحدد مدى عمق الفهم وصحة التفسير، مما يجعل اختيار المنهج خطوة أساسية في اختيار بحث داخل العلوم الإنسانية.

أي أن السبب الأساسي الذي أدى إلى تفاقم الأزمة في العلوم الإنسانية يرجع إلى تبنيها مناهج مستمدة من العلوم الطبيعية، مما جعلها تفسر الظواهر الإنسانية وفق منظور علمي ضيق، يتجاهل خصوصية الإنسان وتجربته الذاتية، هذا التوجه أضعف قدرتها على تقديم فهم عميق وشامل للواقع الإنساني.

كذلك " قد أدى ترقي البحوث السيكولوجيا والاجتماعية والتاريخية إلى تحول كل منها إلى نزعة تريدنا أن نرى كل شيء بمنظارها ونرد كل شيء إلى مقولاتها، فالسيكولوجيون يرودون كل شيء إلى علم النفس حتى قوانين المنطق، والاجتماعيون يفسرون كل شيء تفسيرا اجتماعيا حتى التذوق الفني! والتاريخيون يرون منطق التاريخ مهيمنا على كل الأشياء بما فيها صانع التاريخ نفسه – الإنسان ! " [1] .

[1] عادل مصطفى، فهم الفهم مدخل إلى الهرمينوطيقا " نظرية التأويل من أفلاطون إلى غادامير "، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2007، ص 183.

هذا يعني أن هوسرل قد إنتقد بشكل خاص النزعة السيكولوجية لأنها وبحسب هوسرل لم تصل إلى فهم حقيقي لما هو نفسي، طالما ظلت خاضعة للتفكير الموضوعي والتجريبي، فبدلا " من التعمق في تجربة الذات والشعور الداخلي، تعاملت هذه النزعة النفس كموضوع خارجي يمكن قياسه وتصنيفه مثل الأشياء، وهو ما جعلها عاجزة عن بلوغ "ماهية النفسي" بمعنى حقيقة الشعور والمعنى كما يعاش من الداخل.

هذا يوضح لنا نقد هوسرل لمناهج العلوم الطبيعية التي يعتبرها السبب الرئيسي في ظهور التناقضات والإشكالات التي تعاني منها العلوم الإنسانية، نتيجة محاولتها تقليد مناهج لا تناسب طبيعة موضوعها حيث يوضح في قوله " وهكذا فرضت من جديد القيام بتأملات منهجية نقدية امتدت بالضرورة إلى نقد منهج علماء الطبيعة الذي عرف نجاحا كبيرا بهدف فهم إنجازاتهم [1].

بمعنى أنه من خلال نظرته النقدية لمناهج العلوم الطبيعية استطاع أن يكشف اهمية الذات الإنسانية التي تم تجاهلها داخل هذه العلوم، حيث أصبح الإنسان مجرد موضوع للدراسة، وكأن وجوده لا يتجاوز حدود الملاحظة والتجريب، فعندما يتم إقصاء الذات من مجال البحث، فإن ذلك يؤدي إلى نسيان عالم الحياة اليومية وما يحمله من معان وتجارب حية في نظره، وهذا هو السبب العميق الذي أدى إلى بروز أزمه إنسانية، لأن العلم ابتعد عن الإنسان الحي وواقع عيشه، واهتم فقط بما هو موضوعي وتجريدي [2].

من خلال ما سبق يتوضح لنا أن أزمة العلوم الإنسانية كما يراها هوسرل تعود إلى محاولتها تقليد مناهج العلوم الطبيعية، مما أدى بها إلى تهميش الذات الإنسانية وتجاهل عالم التجربة الحية، وبدلا من أن تكون هذه العلوم وسيلة لفهم الإنسان في كليته، تحولت نظرات جزئية تختزل الظواهر في تفسيرات نفسية أو اجتماعية أو تاريخية ضيقة، وهو ما أفقدها قدرتها على الإحاطة بالمعنى الحقيقي للوجود الإنساني، وأدى إلى ظهور أزمة حقيقية في معناها ودورها.

[1] هوسرل إدموند، أزمة العلوم الأوروبية والفينومينولوجيا الترنستندالية، المصدر السابق، ص 451.

[2] عبد العزيز مباركي وحسن بن عبد الله، الفينومينولوجيا وفلسفة الوعي عند ادموند هوسرل، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، م 12، ع 2، 2020، ص 243.

اللافت في هذا الموضوع أن جذور الأزمة عند إدموند هوسرل ترجع إلى التحولات الكبرى التي شهدها الفكر الأوروبي منذ عصر النهضة، حيث بدأت العلوم الطبيعية تتطور بسرعة مذهلة، وحققت إنجازات هائلة في تفسير العالم المادي وتطوير التكنولوجيا، غير أن هذا التقدم العلمي، في نظر هوسرل، كان يحمل في طياته بذور أزمة عميقة، لأن العلوم الحديثة انفصلت تدريجيا عن الفلسفة وعن الأسئلة الوجودية التي كانت في صميم المشروع الفلسفي اليوناني القديم، فقد كان هدف الفلسفة الكلاسيكية، كما يوضح هوسرل، هو السعي إلى الحكمة والمعرفة الشاملة التي تجمع بين العقل والروح، بين النظر والعمل، وبين الإنسان والعالم، أما مع ظهور النزعة الوضعية في الفكر الحديث، فقد أصبح التركيز منصبا على المنهج العلمي الصارم، وعلى البحث عن القوانين الموضوعية التي تحكم الظواهر، دون الاهتمام بالمعنى أو الغاية أو القيم التي تمنح الوجود الإنساني تماسكه وغايته [1].

يرى هوسرل أن هذه القطيعة بين العلم والفلسفة أدت إلى فقدان العلوم الحديثة لجذورها الروحية والإنسانية، فتحولت إلى أدوات تقنية تهدف إلى السيطرة على الطبيعة، وأصبح الإنسان نفسه موضوعا للدراسة العلمية، ما أدى إلى تشييء العالم وتشييء الإنسان ذاته، فبدلا من أن يكون الإنسان مركزا للمعرفة وصانعا للمعنى، أصبح مجرد كائن ضمن منظومة كونية لا مكان فيها للذاتية أو الحرية أو القيم، ويعتبر هوسرل أن هذا التحول لم يكن مجرد تطور طبيعي للمعرفة، بل كان انحرافا عن المشروع الأصلي للفلسفة الأوروبية، التي كانت تسعى دائما إلى تأسيس علاقة حية بين الذات والعالم، وإلى البحث عن الحقيقة والمعنى في أفق إنساني شامل.

من هنا، يربط هوسرل جذور الأزمة بظاهرة "نزع المعنى" عن العالم، أي فقدان العالم المعيش (Lebenswelt) لمكانته المركزية في التجربة الإنسانية، فالعالم المعيش، بالنسبة لهوسرل، هو الخلفية الأصلية التي تمنح كل معرفة وكل علم معناها وقيمتها، وهو العالم الذي نعيش فيه بشكل مباشر قبل أن تتدخل المناهج العلمية والتجريدات النظرية، غير أن العلوم الحديثة تجاهلت هذا العالم الأصلي، وركزت على ما هو قابل للقياس والتحليل الكمي، فأصبحت

[1] عبد العزيز مباركي وحسن بن عبد الله، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، مرجع سابق، ص 243.

عاجزة عن فهم الوجود الإنساني في أبعاده الشاملة، ومن هنا نشأت الأزمة، أزمة فقدان المعنى، وأزمة اغتراب الإنسان عن ذاته وعن العالم، وأزمة فقدان المشروع الفلسفي الأوروبي لرسالته الأصلية [1].

إن أسباب الأزمة عند هوسرل، إذن، تعود إلى الانفصال بين العلم والفلسفة، وإلى هيمنة النزعة الوضعية والتقنية على الفكر الأوروبي، وإلى فقدان العالم المعيش لمكانته كمصدر لكل معنى وقيمة، ولهذا يدعو هوسرل إلى العودة إلى الأصول، أي إلى الخبرة المباشرة والمعاشة، وإلى إعادة تأسيس الفلسفة على أسس فينومينولوجية تتيح استعادة العلاقة الأصيلة بين الذات والعالم، وتعيد للمعرفة الإنسانية بعدها الوجودي والروحي، بهذه العودة وحدها يمكن للفكر الأوروبي أن يتجاوز أزمته، ويستعيد قدرته على طرح الأسئلة الكبرى حول المعنى والغاية والقيم والتركيز [2].

[1] Suárez, Jorge Novella. "Crisis de las ciencias, Lebenswelt y Teoría crítica ".*Daimon Revista Internacional de Filosofia*.118-113 :(1998) 16 , p. 108.

[2] هوسرل إدموند، أزمة العلوم الأوروبية والفنومينولوجيا الترنسندنتالية، مصدر سابق، ص ص 159،161.

المبحث الثالث: تجليات الأزمة الإنسانية الهوسرلية

تُعد تجليات الأزمة الإنسانية الهوسرلية في ذلك الانعكاس المباشر لجذور الأزمة العميقة التي عاشتها العلوم الإنسانية في العصر الحديث، حيث برزت مظاهرها في فقدان القدرة على تفسير الواقع الإنساني المعاصر، وتراجع الصلة بين المعرفة العلمية والحياة اليومية للأفراد والمجتمعات، وقد أسهمت التحولات الفكرية والمنهجية، خاصة سيطرة النموذج الوضعي، في إبراز هذه التجليات من خلال إهمال البعد الذاتي والمعيشي للإنسان، وتهميش القيم والمعاني لصالح التفسير الكمي والتجريبي، إن رصد هذه التجليات لا يقتصر على الجانب النظري فقط، بل يظهر أيضا في ضعف حضور العلوم الإنسانية في المؤسسات الأكاديمية، وتزايد التساؤلات حول هويتها ووظيفتها، ما يجعل من الضروري الوقوف عند مظاهر الأزمة لفهم عمق الإشكاليات التي دفعت هوسرل إلى الدعوة لإعادة بناء هذه العلوم على أسس يكون فيها الاتصال بتجربة الإنسان ومعناه في العالم إلى حد كبير.

تتسم الأزمة الأوروبية عند هوسرل بعدة خصائص جوهرية تجعلها أزمة شاملة وعميقة تطال جميع جوانب الحياة الفكرية والثقافية في الغرب الحديث، أولى هذه الخصائص أن الأزمة ليست مجرد أزمة ظرفية أو مؤقتة، بل هي أزمة بنيوية تمس الأسس التي قامت عليها الحضارة الأوروبية، وخاصة علاقتها بالعقل والعلم والمعنى، فقد أدى التقدم العلمي والتقني إلى سيطرة النظرة الوضعية والكمية على فهم العالم، بحيث أصبحت العلوم الطبيعية تهيمن على كافة أشكال المعرفة، وجرى تهميش الأسئلة الفلسفية والروحية التي كانت تشكل جوهر المشروع الفلسفي الأوروبي منذ اليونان [1]، من هنا، تظهر خاصية ثانية للأزمة، وهي فقدان المعنى وتشييء العالم والإنسان، حيث تحولت الذات الإنسانية إلى مجرد موضوع للدراسة العلمية، وانقطعت الصلة الحية بين الإنسان والعالم المعيش الذي يمنح التجربة الإنسانية أصالتها وعمقها.

[1] JACOBS Hanne. History and nature: Husserl's transcendental phenomenology of life, Review Articles Research in Phenomenology 42 (2012) 269–303, 2012, p 296.

تتجلى خاصية ثالثة للأزمة في اغتراب الإنسان الأوروبي عن ذاته وعن محيطه، إذ لم يعد يجد في المنجزات العلمية والتقنية ما يمنحه اليقين أو الطمأنينة، بل أصبح يعيش حالة من التشتت وفقدان الهوية، نتيجة انهيار المرجعيات الدينية والأخلاقية التقليدية، وسيطرة النسبية والتشظي على الثقافة المعاصرة، كما تتسم الأزمة الأوروبية عند هوسرل بأنها أزمة مشروع فلسفي، حيث فقدت الفلسفة رسالتها الأصلية في البحث عن الحقيقة والمعنى، وأصبحت بدورها مهددة بالتقوقع داخل مناهج شكلية أو وضعية لا تلامس جوهر الوجود الإنساني، وأخيرا، تتسم الأزمة بطابعها الكوني، إذ يرى هوسرل أن ما يصيب أوروبا من فقدان للمعنى والهوية لا يخصها وحدها، بل يهدد مستقبل الإنسانية جمعاء، ما لم تتم العودة إلى الأصول الفلسفية والروحية التي تمنح الفكر والثقافة معناهما الأصيل [1].

يرتبط مفهوم الأزمة الإنسانية عند هوسرل ارتباطا وثيقا بالتاريخ والثقافة الأوروبية، إذ يرى أن الأزمة التي تعصف بالإنسان الأوروبي ليست ذلك الحدث المعزول أو الوليد عن ظروف طارئة، بل هي نتيجة لمسار تاريخي طويل من التحولات الفكرية والثقافية التي عرفتها أوروبا منذ العصور الوسطى، وبلغت ذروتها مع ظهور الحداثة العلمية والفلسفية، فهوسرل يعتبر أن التاريخ الأوروبي هو تاريخ البحث عن العقل والمعنى، وأن الثقافة الأوروبية تميزت منذ بداياتها بطموحها نحو تأسيس معرفة عقلانية شاملة تجمع بين النظر والعمل، بين الإنسان والعالم، وبين القيم الروحية والإنجازات العلمية، غير أن هذا المشروع التاريخي تعرض، حسب هوسرل، لانحراف خطير مع صعود النزعة الوضعية والتقنية، إذ بدأت العلوم تنفصل عن الفلسفة وتفقد صلتها بالأسئلة الوجودية الكبرى، وأصبح الإنسان ذاته موضوعا للدراسة العلمية، ما أدى إلى تشييئه واغترابه عن ذاته وعن العالم المعيش[2] .

من هذا المنظور، يرى هوسرل أن الأزمة الإنسانية في أوروبا هي أزمة ثقافة قبل أن تكون أزمة علم أو تقنية، فهي تعكس فقدان الإنسان الأوروبي للمعنى الذي كان يمنحه تماسكه وهويته، وتكشف عن انهيار المرجعيات

[1] عرفه عبد الرحمن أحمد عبد الرحمن النادي، ادموند هوسرل والمنهج الفنومينولوجي "فلسفة الظواهر"، مرجع سابق، ص ص 2557،2554.

[2] Husserl, Edmund et Sodeika, Tomas. Mysticism of meister eckhart and the phenomenology of *The Philosophy of Person: Solidarity and Cultural Creativity* ,1994 ,vol. 1, p. 130.

التقليدية التي كانت تؤطر حياته وتوجه أفعاله، فالثقافة الأوروبية، التي قامت على فكرة العقلانية والحرية والمسؤولية، أصبحت تعاني من التفكك والتشظي، وفقدت قدرتها على توحيد الإنسان حول قيم مشتركة أو غايات كبرى. كما أن التاريخ الأوروبي، الذي كان يوما ما تاريخ تقدم وتراكم للمعرفة والحكمة، تحول في نظر هوسرل إلى تاريخ أزمة مستمرة، حيث بات الإنسان يعيش في عالم يفتقر إلى اليقين والطمأنينة، وتسيطر عليه النزعة النسبية والشك في كل شيء.

إن ارتباط الأزمة الإنسانية بالتاريخ والثقافة يتجلى كذلك في دعوة هوسرل إلى العودة إلى الأصول، أي إلى العالم المعيش والخبرة المباشرة التي تشكل الخلفية الحقيقية لكل معرفة وثقافة، فهوسرل يرى أن تجاوز الأزمة لا يكون إلا باستعادة العلاقة الأصيلة بين الذات والعالم، وإعادة تأسيس الفلسفة كمشروع نقدي يربط بين العقلانية والوجود الإنساني في أعمق معانيه، بهذا المعنى، تصبح الأزمة الإنسانية عند هوسرل فرصة لإعادة التفكير في المسار التاريخي والثقافي للحضارة الأوروبية، ودعوة لاستعادة المعنى والهوية في مواجهة التشييء والاغتراب، ليس فقط على مستوى الفرد، بل على مستوى الإنسانية جمعاء[1].

تتجلى مظاهر الأزمة في مختلف المجالات الإنسانية والاجتماعية والثقافية بشكل واضح في العصر الحديث، حيث أصبحت الأزمات جزءا لا يتجزأ من واقع المجتمعات، ما جعل بعض المفكرين يطلقون على عصرنا "عصر الأزمات" نظرا لتكرارها واتساع آثارها السلبية، ففي المجال الاجتماعي، تظهر الأزمة في تفكك الروابط الأسرية وضعف التضامن الاجتماعي، وازدياد مشاعر الاغتراب والعزلة بين الأفراد، إضافة إلى تصاعد النزاعات والصراعات داخل المجتمع، أما في المجال الاقتصادي، فتتجلى الأزمة في ارتفاع نسب البطالة، وتفاقم الفوارق الطبقية، وانتشار الفقر، فضلا عن الأزمات المالية المتكررة التي تهز استقرار الاقتصاد العالمي وتؤثر بشكل مباشر على معيشة الأفراد واستقرارهم، وفي المجال السياسي، تبرز الأزمة في تراجع الثقة بين المواطن والدولة، وتزايد

[1] هوسرل إدموند، أزمة العلوم الأوروبية والفنومينولوجيا الترنسندنتالية، مصدر سابق، ص ص 41،45.

حالات عدم الاستقرار السياسي، وتفاقم ظواهر الفساد وسوء الإدارة، ما يؤدي إلى ضعف مؤسسات الدولة وعجزها عن تلبية حاجات المجتمع أو مواجهة التحديات الطارئة بفعالية.

أما في المجال الثقافي والفكري، فتتجسد الأزمة في فقدان المعايير والقيم المشتركة، وسيطرة النزعة النسبية والتشظي الثقافي، ما يؤدي إلى ضياع الهوية وغياب المرجعيات التي تمنح الإنسان معنى وغاية لحياته، كما تظهر الأزمة في المجال التربوي والتعليمي من خلال ضعف المناهج وعدم مواكبتها لمتطلبات العصر، وتراجع دور المؤسسات التعليمية في بناء شخصية الإنسان وتنمية قدراته النقدية والإبداعية، ولا تقتصر مظاهر الأزمة على هذه الجوانب فقط، بل تمتد إلى المجال النفسي، حيث يعاني الأفراد من القلق والتوتر وفقدان الشعور بالأمان، نتيجة تسارع التغيرات وتفاقم الضغوط الاجتماعية والاقتصادية.

إن هذه المظاهر المتعددة للأزمة تعكس عمق التحولات التي يشهدها العالم المعاصر، وتؤكد أن الأزمات ليست مجرد أحداث عابرة، بل هي نتاج لتراكمات تاريخية وثقافية ومعرفية، وتتطلب استجابة شاملة تتجاوز الحلول التقنية أو الظرفية، نحو معالجة جذرية تعيد للإنسان توازنه ومعناه في مختلف مجالات الحياة [1].

مما سبق، تتجلى الأزمة الإنسانية الهوسرلية في عدة مظاهر عميقة تمس جوهر العلوم الإنسانية ووظيفتها في فهم الإنسان والمجتمع، ومن أبرز هذه التجليات فقدان العلوم الإنسانية لقدرتها على تفسير الواقع المعاصر ومواكبة التحولات الاجتماعية والثقافية، حيث أظهرت الأحداث المتسارعة فشل الأطر النظرية التقليدية في استيعاب ظواهر جديدة تختلف عن السياقات التي نشأت فيها تلك النظريات، كما تتجلى الأزمة في ضعف العلاقة بين هذه العلوم وواقع المجتمعات التي تدرسها، إذ أصبحت كثير من المناهج مستوردة أو منقولة دون مراعاة لخصوصية السياق المحلي، مما أدى إلى شعور بالاغتراب وفقدان الصلة بين المعرفة العلمية والحياة اليومية.

[1] نوال بن عزوز ومختارية بن محمد، الأزمة في العلوم والفلسفة إدموند هوسرل أنموذجا، مذكرة ماستر في فلسفة العلوم، جامعة بن خلدون، تيارت، الجزائر، 2017، ص ص 40، 41.

إضافة إلى ذلك، برزت أزمة هوية ووظيفة للعلوم الإنسانية، حيث أثيرت تساؤلات حول علميتها وموضوعيتها وحدودها المعرفية، في ظل التشكيك في قدرتها على تقديم إجابات دقيقة أو حلول عملية لمشكلات الإنسان الحديث، كما انعكس ذلك في تراجع الاهتمام بهذه العلوم في المؤسسات الأكاديمية، وضعف إقبال الطلاب عليها، وتهميشها في السياسات التعليمية والتنموية، كل هذه التجليات تعكس عمق الأزمة التي شخصها هوسرل، ودعوته إلى إعادة بناء العلوم الإنسانية على أسس جديدة تعيد الاعتبار للمعنى والتجربة الذاتية في البحث العلمي.

مما سبق، يمكن القول بأن أول تجليات الأزمة تتمثل في فقدان المعنى، فحينما تقلد العلوم الإنسانية مناهج العلوم الطبيعية، فإنها تتخلى عن جوهرها، أي عن قدرتها على تفسير المعنى الذي يمنحه الإنسان لعالمه، لم تعد العلوم الإنسانية قادرة على فهم الإنسان بوصفه ذاتا حية تمنح العالم معناه، بل باتت تدرسه كموضوع خارجي، شأنه شأن أي ظاهرة مادية أخرى، وبهذا، فقدت العلوم الإنسانية صلتها بالأسئلة الكبرى حول الحرية، والقيم، والغائية، والمسؤولية، وأصبحت عاجزة عن تقديم إجابات عن تساؤلات الإنسان المعاصر حول ذاته ومصيره [1].

أما التجلي الثاني للأزمة فهو الاغتراب العلمي، لقد أدى اعتماد المنهج الموضوعي إلى اغتراب الإنسان عن ذاته وعن عالمه، إذ لم يعد يرى نفسه إلا من خلال مقولات علمية جامدة، لا تعكس تجربته الحية ولا تعبر عن قلقه أو تطلعاته، أصبح الإنسان غريبا عن ذاته، محاطا بتفسيرات علمية لا تلامس أعماقه ولا تعبر عن معاناته أو إمكاناته، هذا الاغتراب جعل من العلوم الإنسانية علوما "خارجية"، تراقب الإنسان من الخارج ولا تنفذ إلى تجربته الداخلية.

يظهر التجلي الثالث للأزمة في عجز العلوم الإنسانية عن تأسيس معايير وقيم توجه الإنسان والمجتمع، فحينما تخلت العلوم الإنسانية عن بعدها الفلسفي، فقدت قدرتها على طرح الأسئلة القيمية والأخلاقية، واكتفت

[1] Józef Tischner, Józef Życiński, George F. McLean, The Philosophy of Person: Solidarity and Cultural Creativity, Amazon, 2005, p 22.

بوصف الظواهر وتفسيرها من الخارج، لم تعد قادرة على إرشاد الإنسان أو المجتمع نحو غايات عليا أو قيم مشتركة، بل أصبحت تكتفي بتقديم معطيات جزئية، منفصلة عن سياقها الوجودي والتاريخي.

أما التجلي الرابع، فهو سيطرة النزعة النسبية والتشكيك في إمكانية المعرفة الموضوعية للإنسان، فمع تعدد المناهج وتضارب النتائج، أصبح من الصعب الحديث عن "حقيقة" الإنسان أو "جوهر" الظواهر الإنسانية، أدى ذلك إلى نوع من الشك المنهجي في جدوى العلوم الإنسانية، وإلى أزمة ثقة في قدرتها على إنتاج معرفة ذات معنى أو قيمة.

يبرز التجلي الخامس في فقدان الاتصال بين العلوم الإنسانية وحياة الإنسان اليومية، فبدلا من أن تكون هذه العلوم معنية بتجربة الإنسان الحية، صارت تركز على قضايا نظرية مجردة، أو على إحصاءات ومعطيات كمية لا تعكس بالضرورة واقع الإنسان ولا احتياجاته الروحية والوجودية، وبهذا، فقدت العلوم الإنسانية دورها التوجيهي والنقدي، وأصبحت مجرد تخصص أكاديمي منفصل عن هموم الإنسان المعاصر.

أخيرا، تتمثل الأزمة في غياب الأساس الفلسفي الذي يمنح العلوم الإنسانية وحدتها وهدفها، فبغياب الفلسفة، فقدت هذه العلوم قدرتها على التأمل في أسسها ومناهجها، وعلى طرح الأسئلة الجذرية حول معنى الإنسان والعالم، ولهذا، دعا هوسرل إلى العودة إلى الفينومينولوجيا كمنهج فلسفي يؤسس العلوم الإنسانية على تجربة الوعي، ويعيد الاعتبار للذات الإنسانية بوصفها مصدر المعنى والقيمة [1].

إن أزمة العلوم الإنسانية عند هوسرل هي أزمة في المنهج والرؤية، قبل أن تكون أزمة في النتائج أو التطبيقات، لقد كشف هوسرل عن ضرورة العودة إلى الذات الإنسانية وتجربتها الحية، وعن أهمية تأسيس العلوم الإنسانية على أسس فلسفية تضمن لها الفهم العميق للإنسان والعالم، وتمنحها القدرة على الإسهام في توجيه الإنسان نحو حياة أكثر معنى وحرية.

[1] هوسرل إدموند، أزمة العلوم الأوروبية والفنومينولوجيا الترنسندنتالية، مصدر سابق، ص ص 41،45.

خلاصة الفصل الأول

يصف إدموند هوسرل الأزمة الإنسانية في أعماله الرئيسية، وخاصة في كتابه "أزمة العلوم الأوروبية والفينومينولوجيا الترنسندنتالية"، بأنها أزمة فقدان المعنى والهدف في حياة الإنسان الحديث نتيجة هيمنة العلوم الطبيعية والتقنية على الفكر والثقافة الإنسانية، فيرى هوسرل أن العلوم الحديثة، رغم تقدمها الكبير، أصبحت تركز فقط على الجوانب الكمية والموضوعية للعالم، متجاهلة الخبرة الذاتية والمعيشية للإنسان، أي كيف يظهر العالم في وعي الإنسان وكيف يختبره ذاتيا.

يشير هوسرل إلى أن هذه الأزمة ليست مجرد أزمة معرفية أو علمية، بل هي أزمة تمس الكينونة الإنسانية نفسها؛ إذ فقد الإنسان علاقته الحية بالعالم وبذاته، وأصبح يشعر بالغربة والاغتراب بسبب انفصال العلوم عن الأسئلة الوجودية الكبرى مثل: معنى الحياة، والغاية من الوجود، والقيم الإنسانية. ويؤكد أن هذا الانفصال أدى إلى حالة من "اللامبالاة الروحية" و"الفراغ الوجودي"، حيث لم تعد العلوم قادرة على تزويد الإنسان بالإجابات التي يحتاجها ليعيش حياة ذات مغزى.

يصف هوسرل كذلك هذه الأزمة بأنها "أزمة في العقل الأوروبي"، لأن العقلانية الحديثة اختزلت الإنسان إلى مجرد كائن معرفي أو تقني، وتجاهلت بعده الروحي والأخلاقي، وينادي هوسرل في أعماله بضرورة العودة إلى "الفينومينولوجيا" كمنهج فلسفي يركز على خبرة الإنسان الذاتية ويعيد للوجود الإنساني معناه وقيمته، معتبرا أن تجاوز الأزمة يتطلب تأسيس العلوم والفلسفة من جديد على أساس الوعي الإنساني الحي.

الفصل الثاني

طبيعة العلوم الإنسانية من منظور "هوسرل"

المبحث الأول: العلوم الإنسانية ذاتية وليست مادية

المبحث الثاني: دور الذاتية والإدراك

المبحث الثالث: قصور العلوم الإنسانية

تمهيد:

تمثل العلوم الإنسانية أحد أبرز الحقول المعرفية المعاصرة، التي لا تزال تبحث عن مشروع تأسيسي صلب يضاهي ما بلغته العلوم الطبيعية من دقة وصرامة، غير أن الإشكال الجوهري الذي يواجه هذه العلوم يتمثل في خصوصية موضوعها الإنسان، بما هو ذات واعية، مدركة، وقادرة على المعنى، هذا ما يجعل محاولة إخضاعه لنفس مناهج العلوم التجريبية أمرا اشكاليا، بل قد يؤدي إلى اختزال غير مشروع للإنسان في مجرد كيان مادي أو موضوع خارجي.

في ظل هذا الإشكال تبرز محاولة الفيلسوف "إدموند هوسرل" كمساهمة فلسفية تسعى إلى إعادة بناء العلوم الإنسانية على أسس مختلفة، تنطلق من فهم ذاتية الإنسان لا كعائق أمام المعرفة، بل كشرط إمكانها، وانطلاقا من هذا المنظور نطرح الأسئلة التالية: ما طبيعة العلوم الإنسانية من وجهة نظر هوسرل؟ وإلى أي مدى يمكن اعتبار أن إهمال البعد الذاتي هو أساس هذه الأزمة؟ وما هو دور كلا من الذاتية والإدراك تجاه الأزمة الهوسرلية؟

المبحث الأول: العلوم الإنسانية ذاتية وليست مادية

ترتبط أزمة العلوم الإنسانية كما يراها هوسرل بمحاولة إخضاع دراسة الإنسان للنماذج العلمية الطبيعية، مما أدى إلى فقدان هذه العلوم لطابعها الذاتي، فبينما تعتمد العلوم الطبيعية على التفسير السببي والتحليل الموضوعي، تتميز العلوم الإنسانية بكونها علوما تفهم الإنسان من خلال وعيه الذاتي، وليس ككائن مادي يخضع لقوانين ميكانيكية صارمة، ولذلك، فإن أي محاولة لتطبيق نفس منهج العلوم الطبيعية على العلوم الإنسانية تؤدي إلى تشويه جوهر الإنسان باعتباره كائنا واعيا.

يبدو أن مشكلة علاقة الذات بالموضوع احتلت مكانة هامة في الفلسفة الغربية، إذ يسعى إدموند هوسرل إلى حل هذا النزاع، المتمثل في العودة إلى الذات والتحرر من كل العوائق، لتعادل الإنسانية قيمتها التي فقدتها في النزعة الوضعية والطبيعية التي آل إليها العلم، " وتبعا لهذا، فإن الوصول إلى إدراك المعنى الحقيقي يستند إلى "الأنا الخالص" الذي يجعل من الحقيقة والماهية شعورا إنسانيا يتحقق في الذاتية " [1].

قدّم هوسرل تمييزا دقيقا بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية في إطار فلسفته، بينما تعتبر الفينومينولوجيا المنهج الرئيسي الذي اتبعه هوسرل لفهم الوعي البشري، إلا أنه كان يرى أن العلوم الطبيعية والإنسانية تختلفان في طريقة التعاطي مع الواقع والظواهر الإنسانية، ولذلك يجب أن تعالج كل منهما بطريقة مختلفة.

إن كتاب " أفكار"، الذي ألّفه هوسرل سنة 1913، يطلق عدة معانٍ للذاتية: "الوعي الخالص"، "الوعي الفينومينولوجي"، و"الأنا الخالص"، من خلال مفهوم الإيبوخية، والتي تعني " وضع المعرفة وجملة الموجودات والنظريات القائمة موضع السؤال، وعدم استعمالها قبل فحص صدقها ومعناها فحصاً نقدياً بحسب نظام الوعي قانونه، وخاصة صدق المعطيات المفارقة التي لم تخضع لهذا الفحص أصلاً، إن تعليق الوجود يعني أن

[1] حسان بركان، رفيق بوجمعة، الذاتية الترنسندنتالية: الماهية ومكانها في الفينومينولوجيا كفلسفة للماهية عند إدموند هوسرل، مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، ج 07، ع 2، جامعة باتنة، ديسمبر 2022، ص 468.

الإيبوخية يقصد بها "تحقيق الإمكان أي تحقيق الماهية في الموضوعات وفي العلاقات التي بينها، بغير تسليم سابق".[1]

كان هوسرل يرى في العلوم الإنسانية أنها يجب أن تتعامل مع الوعي البشري باعتباره المصدر الأساسي لفهم الظواهر الإنسانية، ولذلك، ينبغي على العلماء في هذا المجال أن يدرسوا الظواهر كما تظهر في الوعي، وليس ككيانات موضوعية أو مادية فقط، بينما في العلوم الطبيعية، يرى هوسرل أنها تجربة قابلة للقياس، ويتم فيها فحص الظواهر المادية بشكل موضوعي من خلال الملاحظة والاستقراء، ويمكن تكرار التجارب والتحقق من صحة النتائج.

وتُفهم هذه الظواهر بعيدا عن أي تأثير ذاتي. بينما في العلوم الانسانية تعتمد على التفسير والتحليل ولا يمكن أن تُفهم بمنهج تجريبي لأنها تتعلق بوعي الإنسان وتجـــربته الذاتية، ولهـذا يجب دراسة الظـواهر كما هـي في تجربتنا " فهوسرل " حينما يعتبر الذاتية مؤسسة للمعرفة لا يجعلها محوّلة إلى موضوع، وذلك لأنها حينما تُعطى في كل موضوع بصفتها متقدّمة عليه، وهذا هو المعنى الأصلي للذاتية . [2]

يوضح هوسرل أن الأزمة التي تعيشها أوروبا هي أزمة العقل والعقلانية * ، ولأن العالم يستمد معناه من هذا العقل مثلما يستمد الوجود الإنساني معناه منه، فإنه عرف انهيارا وأزمة أدّت إلى سقوط معنى الإنسانية، وهي عدم مقدرة الإنسان على إعطاء معنى عقلي لوجوده الفردي والعام . [3]

كان الشغل الشاغل "لهوسرل" هو بناء العلم انطلاقا من الوعي وعلى أسس ثابتة ويقينية، ولا تخرج العلوم الإنسانية عن هذا الطلب.

---

[1] هوسرل ادموند، فكرة الفنومينولوجيا، تر: فتحي انقزو، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1 ،2007، ص 129.

* العقل والعقلانية: لا يرفض هوسرل العقلانية الاوروبية في جوهرها بالعكس إنه يؤمن بها ويدعو إليها لكنها عقلانية جديدة سيسعى إلى تأسيسها بنفسه، اما العقلانية التي يرفضها هي العقلانية الحديثة التي تأسست مع ديكارت والسبب في ذلك أنها كانت مجرد إنعكاس للتطور العلمي الحاصل في الفيزياء والرياضيات، ينظر: هوسرل إدموند، أزمة العلوم الأوروبية والفينومينولوجيا الترنسندنتالية مصدر سابق، ص 137.

[2] حسان بركان رفيق بوجمعة، الذاتية الترنسندنتالية: الماهية ومكانها في الفينومينولوجيا كفلسفة للماهية عند إدموند هوسرل، مرجع سابق، ص 468.

3 سليمة قايد، الأبعاد الانسانية لأزمة العلوم الاوروبية، مرجع سابق، ص 57.

يستنتج هوسرل أن " علوم الروح " في عصره غير قادرة على دراسة الروح بشكل حقيقي، مشيرا إلى أن هذه العلوم مرتبطة بالمذهب الطبيعي، ويؤكد هوسرل بذلك أن علوم الروح لا تختلف في عجزها عن علوم الطبيعة، إذ إنها لا تسهم في مساعدة الإنسان على حل مشكلاته الإنسانية والروحية، بل على العكس، تقوم بتفريغ وجوده من بُعده الإنساني والروحي عبر اختزاله إلى مجرد ظواهر موضوعية.

كما يوضح هوسرل أن العلم الذي يدرس الأجسام الخالصة لا يمكنه أن يفسر ما هو ذاتي، حيث إن العلوم الوضعية التي تقتصر على مراقبة وتسجيل الوقائع دون التعمق في معناها، تفترض أن الظواهر سواء كانت مادية أو روحية يجب أن تُعالج بالطريقة نفسها. [1]

بمعنى أن العلوم التي تقوم بهذا الإجراء تُعتبر علمية بالكامل، وهذا يجعل من العلوم الحديثة غير قادرة على مساعدة الإنسان في إيجاد معنى لوجوده أو في توجيه حياته الفكرية والعلمية، حيث تفتقر هذه العلوم إلى الأفق الروحي والتاريخي، مما ينفي عنها القدرة على تفسير الظواهر الإنسانية بشكل كامل.

النقد الذي يقدمه هوسرل في فلسفته يمكن اعتباره بمثابة إعادة تقييم جذرية للمفاهيم الأساسية التي شكّلت مسار المعرفة الإنسانية، من خلال تحليل العوائق التي تواجه العلوم الحديثة، فإنه يطرح ضرورة إعادة النظر في الأسس التي بُنيت عليها هذه العلوم، ولا ينكر هوسرل أن هذه العلوم قد حققت مكاسب عديدة، ولكنها في الوقت ذاته لم تكن قادرة على التعبير عن التجربة البشرية بشكل كامل، بل كانت وسيلة لتكريس أفكار تتعلق بتصورات مجردة عن الأشياء. [2]

تتجلّى أزمة العلوم الطبيعية التي يطرحها " هوسرل " في تأكيده على التفرقة بين عالم الأشكال الهندسية والعالم المادي، مشيرا إلى أن الهندسة لا يمكنها تفسير الأجسام الطبيعية كما هي في واقعها المادي .

[1] هوسرل إدموند، أزمة العلوم الأوروبية والفينومينولوجيا الترنسندنتالية، مصدر سابق، ص ص 206، 302.

[2] أسماء مصابيح، موقف إدموند هوسرل من أزمة العلوم الأوروبية، مجلة التدين، م 14، ع 1، أبو القاسم سعد الله، الجزائر، 2022، ص ص 155، 156.

كما انتقد "غاليلي" (Galilée) (1642 – 1564) في استخدام المنهج الرياضي لتأسيس المعرفة الموضوعية، مؤكدا أن هذا المنهج لا يتناسب مع دراسة الخصائص الحسية للأجسام الطبيعية، بل يقتصر على التعامل مع امتداد المكان المجرّد تتوضّح هذه الأزمة في مجال الرياضيات والمنطق، [1] حيث اعتبر هوسرل أن الرياضيات لا يمكنها تقديم تفسير كامل للظواهر البشرية، وأن هناك حاجة لإعادة النظر في العلاقات بين الرياضيات والظواهر النفسية أو الإنسانية، وهذا يتطلّب البحث في الظواهر الإنسانية باعتبارها مشهداً يعيش فيه الإنسان ويحياه، بعيدا عن التجريد الرياضي المجرّد.

أما عن أزمة العلوم الإنسانية، فإنها تظهر جليّة في تناول هوسرل للموضوعات النفسية والاجتماعية، حيث يوضح أن الظاهرة الإنسانية لا يمكن قياسها بنفس الطريقة التي تُقاس بها الظواهر الطبيعية، إذ تتميز بالذاتية التي تختلف تماما عن الأشكال المادية للأشياء، وهذا الاختلاف يدفعنا للبحث عن منهج يتّسم بالمرونة، وقادر على فهم تجارب الإنسان الداخلية والعاطفية [2].

يرى " هوسرل " أن العلوم الإنسانية رغم تنوّع فروعها تحتاج إلى هيكلة خاصة في ضوء التحديات التي تطرحها التوجهات العلمية، وهذا يتطلب الأخذ بالمنهج الفينومينولوجي، الذي يتيح لنا فهم الظاهرة الإنسانية من منظور يراعي الذاتية والتجربة الفردية.

[1] نادية بونفقة، فلسفة ادموند هوسرل – نظرية الرد الفينومينولوجي – ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط2 ،2011 ،ص ص 54،56.

[2] سماح رافع محمد ، الفينومينولوجيا عند هوسرل، دراسة نقدية في التجديد الفلسفي المعاصر، مرجع سابق، ص 116 .

المبحث الثاني: دور الذاتية والإدراك

هوسرل هو الفيلسوف الذي أسس الفينومينولوجيا (الظاهراتية)، والتي تعتبر إحدى أهم الحركات الفلسفية في القرن العشرين، في عمله الفلسفي، يتناول هوسرل مسائل الذات وإدراكها بشكل عميق، حيث يركز على كيفية تجربة الأفراد للعالم حولهم وما هي الشروط التي تجعل هذه التجربة ممكنة.

أي أن الذات في الفينومينولوجيا الهوسرلية ليست مجرد كائن منفصل أو ثابت، بل هي كائن واع ومدرك للعالم، وبالنسبة لهوسرل لا يمكن فهم الوجود بشكل مجرد دون الانطلاق من الذات البشرية التي تدركه بل أن الذات هي نقطة البداية لكل تجربة، وهي مركز للإدراك والمعرفة.[1]

هوسرل يميز بين "الوعي" و"الذات"، فالوعي لا يُفهم فقط كحالة من الحالات الذهنية التي تحدث داخل عقل الفرد، بل هو أيضاً "وعي موجّه نحو شيء ما" (أي الوعي دائماً موجه إلى موضوع خارج عن الذات). [2] وهنا تكمن العلاقة بين الذات والعالم التي هي محور الفينومينولوجيا.

كما أن هوسرل يعتقد أن الذات ليست مجرد كائن معرفي، بل هي كائن يعبر عن تجربته بمعنى ما يعيشه ويختبره. وهكذا الذات تكون في علاقة مع "العالم" بشكل دائم.

كان هوسرل مقتنعاً تماماً بأنه لا يوجد أساس واحد وصلب للفلسفة والعلوم سوى "الأنا أفكر"، وكان متأثراً جداً بفلسفة ديكارت في هذا السياق، ومع ذلك، رأى هوسرل ضرورة تطوير مفهوم جديد للأنا أفكر يتجاوز الأخطاء التي وقع فيها ديكارت و "كانط" في تفسيراتهما للكوجيتو. *

---

[1] يوسف بن أحمد، الظاهرة و المنهج. فينومينولوجيا هوسرل. مركز النشر الجامعي، تونس، 2008، ص 15.

[2] هوسرل ادموند، الفلسفة علماً دقيقاً ،تر : محمود رجب .المجلس الأعلى للثقافة .القاهرة ،ط1 .2002 ،ص 88.

* – " كوجيطو " كوجيطو: لفظ لاتيني يعني "أنا افكر" ،ويشار بهذا اللفظ إلى قول ديكارت "أنا أفكر إذن انا موجود" . وبمعنى هذا القول إثبات وجود النفس من حيث هي موجود مفكّر و البرهنة على وجودها بفعلها الذي هو الفكر ،لأن التفكير يفترض الوجود. ينظر :جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات و الشواهد الفلسفية ،دار الجنوب للنشر ،تونس،1994 ،ص 384.

كان هوسرل بحاجة إلى تحديد مفهوم فلسفي " للأنا " بشكل أساسي، فهو لم يكن يرغب في مفهوم علمي "للأنا" كما هو الحال في العلوم الطبيعية التي تدرس الجسد مثل الطب وعلم الأحياء، ولا في المفهوم النفسي "للأنا" كما يعالجه علم النفس، بسبب انتشار النزعة النفسية [2] (PSYCHOLOGISME) في عصره، و التي تبناها "هوسرل" في البداية ثم تراجع عنها، ظل يواجه تهمة عدم التخلص التام من هذه النزعة طوال حياته . [1]

لهذا السبب، سعى هوسرل إلى تأسيس مفهوم جديد للأنا الفلسفي، يختلف عن تصورات الفلاسفة السابقين، فعاد إلى "الأنا أفكر" كما ورد عند "ديكارت ،وكانط، لكنه أجرى نقدا لهما، فطور "الكوجيتو" ليصبح مفهوما جديدا، حيث جعله " أفكر" خالصاً، متعالياً موضوعياً وحقيقيا، وربط بين الذات وموضوعها من خلال الانتقال من الكوجيتو الديكارتي الفارغ إلى الكوجيتاتوم، وركز على العلاقة القصديّة بين الذات وموضوعها، مما جعل الأنا المتعالي* ضروريا، مطلقا، كليا، أوليا، أصليا، وموجها تقويميا. [2]

عمل " هوسرل " على تجاوز الذاتية الديكارتية التي تتمثل في "الوعي" ليتحول إلى ذاتية ترنسندنتالية حقيقية، تطرح خلف "الإيبوخي" (التعليق المؤقت للحكم) الذي يكشف عن عيان أصلي، أي عن " المعنى الخالص"،[3] وعليه لم يعد هوسرل أسيرا للأنا الطبيعي السيكولوجي أو الحياة النفسية، التي تعتبر مجال التجربة الباطنية، بل يذهب إلى إمكانية رد هذا الأنا إلى أنا ترنسندنتالي * وفينومينولوجي.

[1] محسن الزراعي، إدموند هوسرل ، الفينومينولوجيا والمسألة الجمالية، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط 1، 2010، ص 152.

* يطلق " هوسرل" على الأنا المتعالي عدة اسماء من بينها الوعي الخالص، الذات المتعالية، الأنا التأملي، الأنا الفلسفي، ينظر: سليمة قايد، الأنا المتعالي عند هوسرل، مرجع سابق، ص 02.

[2] فتحي إنقزو، هوسرل ومعاصروه من فينومينولوجيا اللغة الى تأويلية الفهم، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 1، 2006، ص 149.

* ترانسندنتالي : مصطلح وصفه المدرسون ليدلو به على ما يتجاوز مقولات أرسطو جميعاً، أما عند كانط هي الشرط القبلي الذي يجعل المعرفة ممكنة، وعند هوسرل فهي عملية الرد الفينومينولوجي ويتعلق الحكم على العالم التجريبي، ينظر: جلال الدين سعيد: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، مرجع سابق، ص ص 102 ،103.

[3] يوسف بن أحمد، الظاهرة والمنهج في فينومينولوجيا هوسرل، مرجع سابق، ص 87.

لقد أسس هوسرل الفينومينولوجيا الترنسندنتالية على مفهوم "التقوم"، الذي يعني أن كل موجود يتقوم في الوعي، وبالتالي، يجب رفض أي وجود لا يتقوم فيه، وهذا يعيدنا إلى حوار هوسرل مع "مونادولوجيا" * ليبنتز (1646- 1716)، حيث يظهر هذا التأثير بشكل جلي في التأملات الرابعة والخامسة من "تأملات في الديكارتية" لهوسرل، ورغم ذلك، يوضح هوسرل الفروق والخلافات مع الفلاسفة السابقين، حيث تمت إعادته أحيانا للاقتباس منها لتجنب المآزق التي قد تترتب على الإنغماس في الذاتية. [1]

من الصعب تقديم معرفة شاملة عن الوعي دون النظر إلى المعرفة التي يتم تشكلها فيه، والتي تتجسد في الذات، وقد أدرك إدموند هوسرل أهمية دراسة الإنسان في فردانيته، أو بمعنى أدق، دراسة ذات الإنسان، وركز في هذا الصدد على أمرين أساسيين: أولهما هو أن أي دراسة حول موضوع ما يجب أن تنطلق من الذات، والثاني هو أن أي دراسة حول الذات يجب أن تبدأ من الذات نفسها، لذلك، ارتبطت البحوث الفينومينولوجية في بدايتها بدراسة الذات الإنسانية باعتبارها حاملة لمعاني الأشياء عبر الوعي، وقد أدرك هوسرل هذا من خلال تركيزه على "قصدية الذات"، حيث يقول: "كل وعي هو وعي بشيء ما"، [2] لذلك، خصص "هوسرل" جزءا كبيرا من مؤلفه "البحوث المنطقية" لدراسة الوعي المعبر عن الذات.

ففي بداية الفينومينولوجيا، وصف هوسرل هذا العلم بأنه علم جديد لم يصل معاصروه إلى تصور مداه الواسع، صحيح أنه علم يهتم بالوعي (أو الشعور)، لكنه ليس علما للنفس، بل يهدف إلى إقامة علم لظاهرات الوعي أو الشعور مقابل علم طبيعي عن الوعي، وبالتالي، فإن علم النفس يدرس الوعي بوصفه على معطيات طبيعية، كموضوع موجود في الطبيعة ويمكن التجريب عليه ماديا، بينما ينظر الفينومينولوجي إلى الوعي الخالص من خلال دراسته كظاهرة ذات خصائص ترانسندنتالية محضة.

* المونادولوجيا : ظهر هذا المصطلح عند ليبنتز وهو جوهر بسيط يدخل في المركبات، بسيط أي دون أجزاء ويدل هذا اللفظ على الفاعل اللامتغير الذي يصدر منه الفعل والإدراك، والجوهر هو الكائن الحقيقي ويقابله الظواهر المحسوسة وهو الوحدة التي تقاس بها الكثرة بمعنى المونادات حقائق تشغل أماكن معينة في الفضاء، ينظر: صفاء عبد السلام جعفر: قراءة للمصطلح الفلسفي 1991، دار الثقافة العلمية، ط1، مصر، ص 58.

[1] حسان بركان، رفيق بوجمعة، الذاتية الترنسندنتالية: الماهية ومكانها في الفينومينولوجيا كفلسفة للماهية عند إدموند هوسرل، مرجع سابق، ص 470.

[2] المرجع نفسه، ص 471.

وأشار "هوسرل" إلى أن بنية العنصر النفسي تختلف عن بنية "الأنا المحض"، كما تم توضيحها في الجزء الأول من كتاب "أفكار"، حيث يظهرها الرد الترانسندنتالي، فالأنا النفسي هو ذات الإنسان التي تقوم كحقيقة واقعية بين حقائق واقعية أخرى، بينما الأنا المحض هو ماهية تلك الذات، وهو قطب يقوم ذاتيا أو يدرك بإدراك ذاتي، وبالتالي، إذا استخدمنا المصطلحات الفينومينولوجية بعد الأنا النفسي ذاتا أمبيريقيا، في حين أن الأنا المحض هو ذات ترانسندنتالية. [1]

حاول "هوسرل" تقديم تصور شامل للوعي من خلال تحديد ثلاثة مفاهيم رئيسية تدخل في اهتماماته فينومينولوجي: الأول يتمثل في دراسة الوعي بوصفه مركزا فينومينولوجيا حقيقياً للأنا الإمبريقي، أي كنسيج للمعيشات النفسية في تيار المعيشات الواحدة، الثاني يتمثل في دراسة الوعي بوصفه إدراكاً داخليا للمعيشات النفسية الخالصة، أما المفهوم الثالث، فيتمثل في دراسة الوعي بوصفه الموقع المنشئ لكل من الأفعال النفسية للمعيشات القصدية * [2].

الوعي والقصدية، الذي يعبر عنه "هوسرل" بالكوجيتو، هو العلاقة الفعلية بين الأنا والموضوع، وكل علاقة تتطلب في الواقع حدين، حيث تحدد هذه الثنائية الأساسية وجهتا النظر الفينومينولوجية: من خلال تأملنا للعلاقة القصدية في هذا المعنى أو ذاك، نحصل على وجهة النظر الفينومينولوجية الوصفية (معنى الموضوع – الأنا)، أو على وجهة النظر الفينومينولوجية الترانسندنتالية (معنى الأنا – الموضوع). [3]

" لقد نقل "هوسرل" طبيعة العلاقة التي تربط الذات بالموضوع من المستوى الوصفي إلى المستوى الترانسندنتالي، حيث تتقاطع في المستوى الأول مع ديكارت في الكوجيتو "أنا أفكر إذاً أنا موجود"، ثم ننتقل

[1] هوسرل ادموند، تأملات ديكارتية، تر: تيسير شيخ الأرض، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ط1 ،2016، ص 9.

[2] عبد العزيز مباركي، حسن بن عبد الله، الفينومينولوجيا وفلسفة الوعي عند ادموند هوسرل، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية، ج12، ع 2، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان ،2020، ص 243.

* القصدية: توجه النفس إلى الشيء أو إنبعاثها نحوه، ما تره موافقاً وهو مرادف للبنية وأكثر استعماله في التعبير عن التوجه الإرادي أو العلمي فالأول إما مشروع وإما هدف دال على الغاية، ينظر: جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، دط، ج 2 ،1982، ص 193.

[3] هوسرل ادموند، تأملات ديكارتية، تر: تيسير شيخ الأرض، مصدر نفسه، ص 64.

إلى مستوى ثان مقوم يقضي بأن "أنا أفكر في شيء إذاً أنا موجود". من منطلق أن الوعي بالأشياء هو تعبير عن وجودها، وبالتالي، فالمعنى العقلي لما هو موجود مشتق من القصدية الإنتاجية أو العملية لحياة الشعور " [1].

وهذا يعني أن هوسرل توصل إلى استنتاج فلسفة كاملة تعنى بالمعرفة الراديكالية للذات، حيث إن كل معرفة متعلقة بالموضوعية تتضمن معرفة الذات، ومن هنا، كان من الضروري تجاوز "نسيان الذات"، وهو ما أدى إلى اختلال التوازن بين العلوم الإنسانية والاجتماعية من جهة، والعلوم الطبيعية والتقنية من جهة أخرى، هذا الاختلال أدى إلى اختزال دور الإنسان في عملية المعرفة، حيث أصبح مجرد أداة للمعروف فقط، في حين كان يجب أن يكون غاية هذه المعرفة.

حاول هوسرل أن يوجه منهجه إلى الوعي، أي إلى الموضوع، ويسعى إلى كشف كافة معطيات الظاهرة، حيث يرى أن العلاقة الأساسية من منظور فينومينولوجي هي "إدراك الشعور ووصفه" [2] ، ويعتقد "هوسرل" أن الشعور والموضوع لا يمكن الفصل بينهما ، فالوعي هو الذي يدرك الموضوع، ولذلك لم يجعل "هوسرل " الوعي جوهرا ثابتا، بل فعلا يوجه قصدا نحو الموضوع ويصفه، لذا يرى "هوسرل" أن الفينومينولوجيا هي "وصف عملية الادراك فقط وتحليل الشعور لاكتشاف الماهيات الكلية الكامنة فيه و التي تقوم عليها معرفتنا و علومنا " ،[3] وبالتالي تصبح الفبنومينولوجيا علماً كليا شاملا و أساساً يقينيا لكل العلوم الأخرى .

من خلال ما سبق يتضح لنا أن المشروع الفينومينولوجي يسعى إلى رد كل معرفة إلى خبرة الوعي الخالص ،حيث تصبح الذات الترانسندنتالية هي المنبع الأساسي للمعنى و التجربة، فالإدراك عند هوسرل ليس عملية إنعكاسية أو تمثيلية، بل هو علاقة مباشرة و قصدية بين الوعي و موضوعه ، تبْنى من خلالها حقيقة العالم المعاش، ومن خلال أدواته المنهجية كالإيبوخي يكشف هوسرل عن الطابع التأسيسي للذات في تشكيل الواقع، مؤكدا على أن كل معرفة علمية أو فلسفية لا بد أن تنبثق من هذا الأساس الذاتي القائم على الإدراك الحي للعالم، وهكذا

[1] عبد العزيز مباركي، حسن بن عبد الله، الفينومينولوجيا وفلسفة الوعي عند ادموند هوسرل، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية، مرجع سابق، ص243.
[2] هوسرل ادموند، الفلسفة علماً دقيقاً، مصدر سابق، ص 14.
[3] المصدر نفسه، ص 18.

فإن فهم الذاتية والإدراك هما الأساس في محاولة هوسرل لتأسيس فلسفة علمية صارمة تنطلق من الداخل نحو الخارج، أي من الوعي نحو العالم.

المبحث الثالث : قصور العلوم الإنسانية

نشأت أزمة " العالم المعيش" كنتيجة للتطورات العلمية والرياضية التي شهدها الفكر الغربي في القرن التاسع عشر، والتي أثرت بعمق على نظرة العلماء والفلاسفة في العالم، فقد مثلت هذه الأزمة ظاهرة مركبة، شملت أزمة في العلوم الأوروبية وعلم النفس إلى جانب أزمة في الفلسفة، وأزمة في معنى الوجود الإنساني.

يشير "هوسرل" في كتابه أزمة العلوم الأوروبية والفينومينولوجيا الترنسندتالية (1936) أن هذه الأزمة بوصفها نتيجة لهيمنة النظرة الموضوعية على العلم، فقد تحولت هذه النظرة إلى رؤية تقنية بحتة، جافة، أهملت البعد الروحي لعالم الحياة اليومية، وساهمت في تشييء الإنسان، وإقصاء الأسئلة الوجودية الكبرى المتعلقة بطبيعة الإنسان ومصيره، ودوره الذاتي في بناء المعرفة، وذلك لأن النزعة الموضوعية تقصي كل ما هو ذاتي عن دائرة المعرفة العلمية.[1]

أي أن العلوم الطبيعية، بعد أن انفصلت عن الفلسفة، فقدت وحدتها وشموليتها، مما أدى إلى أزمة في الفلسفة نفسها، وتجلت هذه الأزمة في الشك العميق بإمكانية وجود معرفة ميتافيزيقية، مما أدى إلى أزمة في المعنى، ناجمة عن الابتعاد عن طرح الأسئلة الفلسفية الجوهرية التي تتعلق بالإنسان، كمعنى التاريخ، والثقافة الإنسانية، والحرية، ووجود الإنسان ذاته.

نقد "هوسرل" لم يشمل العلوم الطبيعية وحدها، بل امتداد إلى الرياضيات أيضا، حيث يرى أن المفاهيم والتعريفات الصورية المجردة إلى تقدمها الرياضيات مستخلصة عن طريق التجريب والاستدلال، لأنها ذات ماهية تجريبية تعكس الماهية الفينومينولوجية المستمدة من الحدس المباشر، وليس في إدراك ووصف هذه الماهيات أية عملية إستدلالية [2] .

[1] هوسرل إدموند، أزمة العلوم الأوروبية والفينومينولوجيا الترنسندتالية، مصدر سابق، ص 43.

[2] توفيق سعيد، الخبرة الجمالية، دراسة في فلسفة الجمال الظاهراتية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1 ،1992، ص ص 19، 20.

هذا يعني أنه ينتقد النزعة التي تسعى إلى جعل النموذج الرياضي- الفيزيائي معيارا أعلى لكل المعارف، مؤكدا أن هذا النموذج محدود بطبيعته، ولا يمكن تعميمه على جميع فروع المعرفة، ولهذا، يعجز علم النفس، مثلا، عن أن يكون علما تجريبيا صرفا، وهو ما ينطبق أيضا على باقي العلوم الإنسانية، نظرا لاختلاف موضوعاتها عن تلك التي تتناول المادة الجامدة.

" ومن نفس منظور «الماهيات لا الوقائع» ينتقد هوسرل العلوم الإنسانية فأزمة العلم أصبحت أكثر عمقا ووضوحا، عندما حاولت العلوم الإنسانية تطبيق منهج العلوم الطبيعية، وتحولت هي الأخرى إلى علوم للوقائع، والأزمة هنا أعمق، لأنه إذا كانت العلوم الطبيعية قد استبعدت الانسان من الطبيعة وجعلت منها مجرد وقائع مستقلة عن خبرته، فإن العلوم الإنسانية جعلت الإنسان مجرد طبيعة، مجرد واقعة من وقائعها، وهذا يظهر بوضوح في حالة علم النفس التجريبي".[1]

إضافة إلى انتقاد النزعة الموضوعية، وجه هوسرل نقدًا حدا أيضا إلى النزعة الترنسندتالية الحديثة، والتي ظهرت في بعض التيارات الفلسفية التي ترتكز على الذات فقط كمصدر وحيد للمعرفة ·حيث يرى" هوسرل " أن هذه النزعة تسقط في الذاتية المفرطة، إذ تقوم على فكرة أن المعرفة لا تبنى إلا من خلال التمثلات الذاتية (أي ما يوجد داخل وعي الفرد فقط)، متجاهلة تماما العالم الخارجي. وهكذا، يتم عزل الذات عن الواقع، مما يؤدي إلى: الانغلاق في وعي فردي منفصل، كذلك فقدان العلاقة مع الواقع الموضوعي، وعدم القدرة على تأسيس معرفة علمية صلبة ترتبط بالواقع المعاش، فالمعرفة العلمية، بحسبه، هي تلك التي تجمع بين صرامة العلم الموضوعي وعمق الإدراك الذاتي، مما يسمح ببناء معرفة يقينية وشاملة، تراعي الإنسان والواقع معا .[2]

تكمن جذور أزمة الإنسان من وجهة نظر هوسرل في أن الإنسانية الأوروبية فقدت معنى وجودها، بل فقدت حتى فهمها لجوهر الإنسان ذاته، فقد تم تهميش ماهية الإنسان وتفريغها من مضامينها الروحية والوجودية، بعدما أصبحت الفلسفة والعلوم، تحت تأثير النزعة العقلانية الحديثة تنظر إلى الإنسان بعيون رياضية مجردة، تخضعه

[1] توفيق سعيد، الخبرة الجمالية، دراسة في فلسفة الجمال الظاهراتية، مرجع سابق، ص 20.

[2] هوسرل إدموند، أزمة العلوم الأوروبية والفينومينولوجيا الترنسندنتالية، مصدر سابق، ص 98 .

للقياس والتجريب كما لو كان شيئًا ماديا وفي هذا السياق، يشير هوسرل إلى أن الفلسفة نفسها أصبحت تعاني من أزمة جوهرية، لأنها لم تعد قادرة على التفاعل مع الأسئلة الأساسية المتعلقة بوجود الإنسان فبدلا من أن تثير مسارات الفهم والمعنى، أصبحت تختبئ وراء العدد والرمز الذي فرضته الرياضيات العقلانية، مما أدى إلى طمس التجربة الحية لعالم الحياة اليومية.

حيث وبتصاعد سيطرة النزعة الوضعية والموضوعانية في عصر الحداثة، بلغ هذا الانفصال عن الوجود ذروته حيث نظر الإنسان إلى نفسه كما ينظر إلى الطبيعة، أي بوصفه موضوعًا خاضعًا للملاحظة والقياس، وتجلى هذا الانزلاق بوضوح في علم النفس التجريبي، الذي زعم أنه علم إنساني، لكنه تعامل مع الظواهر النفسية باعتبارها وقائع طبيعية تفسر بالقوانين العلمية، بعيدًا عن الوعي والمعنى. [1]

لقد سعى هذا التوجه إلى اكتساب شرعية علمية عبر تقليد المنهج التجريبي للعلوم الطبيعية، فحول الظاهرة النفسية إلى مجرد ظاهرة فيزيائية قابلة للقياس، وهو خطأ فادح، كما يؤكد هوسرل، ولم يكن هذا الخطأ مقتصرا على علم النفس وحده، بل امتد إلى سائر العلوم الإنسانية التي حاولت محاكاة العلوم الدقيقة، على أمل بلوغ "الصرامة العلمية"، فبدلاً من أن تكون هذه العلوم الناشئة وسيلة لفهم الإنسان وإنقاذه من أزمته، ساهمت – بحسب هوسرل – في تعميق الأزمة أكثر، ولهذا، كرس هوسرل جهده لنقد علم النفس التجريبي، محملا إياه مسؤولية مركزية في تفاقم أزمة الوعي الأوروبي.

دفعه ذلك – هوسرل – إلى تحليل جذور الفكر الموضوعاني في الفيزياء والعلوم الحديثة عموما، ليفضح الأساس التأملي الذي قامت عليه، والمتمثل في استبعاد الوعي والمعنى من نطاق العلم فبالنسبة لهوسرل، فإن المشكلة الحقيقية تكمن في أن مناهج العلوم، وعلى رأسها علم النفس الطبيعي، تزعم كفايتها لتفسير الوعي، دون أن تأخذ بعين الاعتبار طبيعة الذاتية والقصدية، يؤكد إدموند هوسرل أن الأزمة الأوروبية لم تقتصر على فقدان

[1] سليمة قايد، الأبعاد الإنسانية لأزمة العلوم الأوروبية عند هوسرل ، مرجع سابق، ص53.

المعنى إلاّ نسبيا فحسب، بل امتد أثرها ليبطل جوهر الروح الأوروبية ذاتها، التي تم القضاء عليها بفعل تصاعد النزعة الوضعية العلمية.

هذه الأخيرة أقصت كل ما هو روحي من مجال الفهم، إذ بات تنظر إلى العالم والوجود الإنساني بوصفها مجرد ظواهر مادية خالصة، تخضع للحساب والتجريب. [1]

يشير "هوسرل" إلى أن ما يُسمى بعلوم الروح قد وقعت بدورها في فخ النزعة الطبيعية، حتى وإن أنكرت ذلك نظريا، حيث إنها لم تطرح أبدا تساؤلات حقيقية حول ماهية الروح كروح، ولم تسع إلى بناء علم شامل يدرس الظواهر الروحية وفق منطقها الخاص وقوانينها الذاتية، بل تعاملت مع الروح وكأنها "واقعة موضوعية" تخضع للفهم بنفس أدوات ومناهج العلوم الطبيعية. ولهذا، فإن هذه العلوم – بحسب "هوسرل" – لم تعد قادرة على التعبير عن إلاّ إنسان بوصفه كائنًا روحيًا، بل حولته إلى كائن فيزيائي أو نفسي–فيزيائي، فاقد للبعد الذي ونتيجة لذلك، أصبح الوجود الإنساني نفسه مفرغا من المعنى، لأن الأسئلة الأساسية حول الإنسان، حقيقته، وهدف وجوده، ثم اعتبارها أسئلة غير علمية، فاستبعدت من نطاق البحث العلمي.

ويرى "هوسرل " أن أوروبا الحديثة تفتقر إلى "علم روح" حقيقي، علم لا يفصل الروح عن الطبيعة، بل يدرسها بوصفها مرتبطة بها، دون اختزالها إلى مجرد مادة، ومن هنا، يعتبر أن العمى الفلسفي والعلمي الذي أصاب المفكرين والعلماء، هو المسؤول الأول عن غياب هذا العلم، إذ لم يستطيعوا تصور إمكانية قيام علم مستقل للروح، لا يكون تابعاً للعلوم الطبيعية ولا مندمجا فيها. [2]

بغية تجاوز الأزمة، يرى هوسرل أن الحل هو العودة إلى علوم الروح، انطلاقًا من تحديد ما هيتها، ذلك أنه يمكن أن تمارس المعرفة من خلال ذاتها وكونها روحا علمية. [3]

[1] – سليمة قايد، الأبعاد الإنسانية لأزمة العلوم الأوروبية عند هوسرل ، مرجع سابق، ص 54.

[2] مراد قواسمي، قراءة في تصور التاريخ في فينومينولوجيا هوسرل، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في الفلسفة، جامعة السانيا، وهران، قسم الفلسفة، السنة الجامعية : 2009 ، 2010، ص 359 .

[3] هوسرل إدموند، أزمة العلوم الأوروبية و الفينومينولوجيا التزنسندنتالية، مصدر سابق، ص ص : 556، 557.

ويضيف "هوسرل" أن أزمة الروح تتجلى على مستويين: أولا، على مستوى الفرد الذي فقد ذاته واغترب عنها، وثانيا، على مستوى الجماعة الأوروبية التي فقدت وحديها الروحية المشتركة، فالإنسان الحديث، حين نظر إلى ذاته بعين العلم الموضوعي، اعتبر نفسه مجرد كائن فيزيائي، مما أدى إلى تفكك الروابط الإنسانية، وانهيار القيم العليا التي كانت تمنح الوجود بعدا ساميا. كما بيرز هوسرل أن الفلسفة والعلوم أصبحت ترى العالم والإنسان من منظور فيزيائي- زمني بحت، فحتى الظواهر النفسية مثل التفكير والإرادة أصبحت تعامل كوقائع قابلة للقياس، وهكذا، تم اختزال الحياة الجماعية والروحانية المشتركة إلى حياة أفراد منفصلين، مما أفرغ العلاقات الإنسانية من معناها الروحي العميق. [1]

ينهي "هوسرل" موقفه بالتأكيد على أن العلوم الحديثة، سواء كانت طبيعية أو إنسانية، لم تعد قادرة على فهم الإنسان أو مساعدته في إيجاد معنى لوجوده، فهي ترفض كل ما هو ذاتي وروحي، بحجة أنها غير قابلة للقياس والتجريب وبالتالي "غير علمية"، لكن هذا النمط من العلم، رغم دقته المنهجية، يفتقر إلى الأفق الروحي والتاريخي، مما يجعل الإنسان المعاصر محاصرا في أزمة وجودية لا يستطيع تجاوزها.

لهذا، دعا "هوسرل " إلى بناء علوم روح جديدة، تخرج من أسر النزعة الموضوعية، وتعهد الاعتبار للروح بوصفها جوهرا حيّا، قادرا على توجيه المعرفة وإعطاء معنى للحياة، فمثل هذه العلوم وحدها هي القادرة، من وجهة نظره، على إنقاذ الروح الأوروبية من الانهيار واستعادة إنسانية الإنسان المفقودة.

إن النتيجة الحتمية لهذا المسار، من وجهة نظر "هوسرل"، هي أن سيطرة الروح الوضعية والموضوعانية على الفكر العلمي أدت إلى استبعاد الأسئلة الجوهرية عن الوجود والإنسان من مجال البحث العلمي، فعالم الحديث، وإن كان دقيقا من الناحية المنهجية، إلا أنه أقصى الأسئلة المتعلقة بمعنى الحياة والوجود الإنساني، باعتبارها "غير علمية"، وبالتالي خارج اختصاصه.

[1] مراد قواسمي، قراءة في تصور التاريخ في فينومينولوجيا هوسرل. مرجع سابق، ص ص 306،307 .

يختم "هوسرل" نقده بالتأكيد على أن الأزمة لا تكمن في "علمية" العلوم، بل في الدلالة الوجودية التي فقدها العلم الحديث، بعد أن تجاهل علاقة المعرفة بالوجود البشري، فقد أصبحت الأسئلة المصيرية، التي تشكل جوهر قلق الإنسان الحديث، مثل: ما معنى وجودنا؟ ما غايته؟ – خارج اهتمامات العلم، رغم أنها الأكثر إلحاحا في ظل التحولات الخطيرة التي يواجهها الإنسان المعاصر.

يرى "إدموند هوسرل" أن أزمة أوروبا لا تقف عند حدود الفكر أو المعرفة، بل تمتد لتصيب الضمير الأوروبي ذاته، إذ تحولت أزمة العلوم، في نظره، إلى أزمة ضمير إنساني وروحي، وقد أدرك هوسرل في سنواته الأخيرة أن ما تمر به أوروبا ليس فقط أزمة في العلوم أو الفلسفة، بل انهيار شامل طال الوعي والتاريخ والثقافة، وهو ما دفعه إلى التعمق في تحليل "عالم الحياة"، باعتباره الفضاء الذي يتجلى فيه الوعي الإنساني الأصيل. [1]

إن ما ضاع في أوروبا الحديثة، حسب "هوسرل"، هو الروح؛ أي ذلك البعد الذاتي العميق الذي يمنح الإنسان معناه، لقد فرضت العلوم الوضعية نظرة مادية على الإنسان والعالم، فطمست القيم، وأقصت البعد الذاتي، ما أدى إلى نزع المعنى من محتواه الأخلاقي والروحي، حتى بات الإنسان الأوروبي يعيش أزمة وجودية حقيقية.

ويعتبر القرن التاسع عشر – في رأي "هوسرل" – ذروة انتصار العلوم الطبيعية، بينما كان القرن العشرون بداية انهيار العلوم الإنسانية، وأيضًا بداية انكشاف أزمة الضمير الأوروبي، حيث برزت أزمة المعنى والقيم بوضوح، وتجلت في مستوى سياسي وأخلاقي خطير، وقد تبنى بعض المفكرين تشخيصه وتبشيرهم بزوال الحضارة الغربية، لكن محاولة هوسرل كانت فلسفية وفينومينولوجية عميقة، سعى من خلالها إلى فهم جذور الأزمة لتقديم رؤية للخلاص . [2]

يؤكد " هوسرل " أن أزمة العلوم ليست منفصلة عن أزمة القيم، بل هما وجهان لأزمة واحدة تعصف بالوجود الأوروبي، ففقدان المعنى العلمي، والابتعاد عن الأسئلة الكبرى المتعلقة بالإنسان، أدى إلى انهيار القيم

[1] – سليمة قايد، الأبعاد الإنسانية لأزمة العلوم الأوروبية عند هوسرل، مرجع سابق، ص 55.

[2] مراد قواسمي، قراءة في تصور التاريخ في فينومينولوجيا هوسرل. مرجع سابق، ص 359.

الأخلاقية والإنسانية، ويعتقد أن العودة التأملية الجذرية إلى حالة العلوم قادرة على كشف طبيعة هذه الأزمة الكلية، حتى في أبعادها السياسية. [1]

لقد أدت النزعة الموضوعانية، التي ترى الإنسان كظاهرة طبيعية بحتة، إلى تفكك العلاقات الإنسانية، وجعلت البشر مجرد أفراد معزولين، لا يجمعهم سوى منطق الصراع والمصلحة، مما أدى إلى تدهور الروابط الاجتماعية والروحية، وبهذا، تحولت الأزمة الأوروبية إلى أزمة أخلاقية-سياسية عميقة تهدد وحدة أوروبا واستمرارية وجودها.

ومن هذا المنطلق، يرى "هوسرل" أن السبيل الوحيد لإنقاذ أوروبا يكمن في استعادة وحدتها الروحية من خلال نقد العلوم الوضعية وإعادة بناء علوم إنسانية وروحية قادرة على فهم الإنسان كذات حية لها معنى وكرامة، إن أزمة أوروبا –كما يوضح – ليست فقط أزمة علوم، بل هي في العمق أزمة قيم إنسانية، وبالتالي لا يمكن فهم الأولى دون ربطها بالثانية.

لهذا، يحرص "هوسرل" في تحليله على بيان أن أزمة العلم وأزمة القيمة متلازمتان، ولا سبيل لفهم أزمة الضمير الأوروبي دون نقد الأساس المعرفي الذي أدى إليها، ومن هنا، فإن مشروعه الفينومينولوجي يسعى إلى إعادة تأسيس العلم على قاعدة إنسانية وروحية تمكّن أوروبا من تجاوز محنتها التاريخية.

[1] سليمة قايد ، الابعاد الانسانية لأزمة العلوم الأوروبية عند هوسرل ، مرجع سابق ، ص55.

خلاصة الفصل الثاني

يرى "هوسرل" أن العلوم الإنسانية تختلف عن العلوم الطبيعية اختلافا جوهريا ، لأنها تتناول الإنسان بوصفه كائنا ذا واعي و إرادة و معنى ، لا كجسم مادي خاضع لقوانين ميكانيكية، فبينما تهدف العلوم الطبيعية إلى تفسير الظواهر من الخارج وفق قوانين ثابتة، تسعى العلوم الإنسانية إلى فهم التجربة الداخلية و المعاني الذاتية التي يعطيها الإنسان للعالم من حوله، لذلك لا يمكن تطبيق منهج العلوم الطبيعية على الإنسان دون الوقوع في اختزال و تشييئ لحقيقته، لأن الوعي هو العنصر الجوهري الذي يميز الإنسان، و من خلاله تتشكل التجربة الإنسانية، مما يجعل العلوم الإنسانية ذات طبيعة ذاتية تتطلب فهماً مختلفا و منهجا خاصا.

كما أن "هوسرل" يركز على "قصدية الوعي"، أي أن كل وعي هو وعي بشيء، و هذا ما يمنح للظواهر الإنسانية معناها، فالذات الإنسانية ليست متلقية سلبية، بل تشارك في تشكيل الواقع و فهمه، فكل تجربة إنسانية محملة بمعاني ذاتية ترتبط بخبرات الفرد و سياقه، لذلك ؛لا يمكن فهم أي ظاهرة إنسانية دون العودة إلى الطريقة التي تدرك بها الذات هذه الظواهر وهذا يعني أن الإدراك و المعنى لا ينفصلان، و أن الذاتية عنصر أساسي في كل تفسير علمي للإنسان، من هنا و إن العلوم الإنسانية ليست سببية، بل تفسيرية ، وتعتمد على تفهم المعاني الحية التي تعيشها الذات في العالم.

يعتبر "هوسرل" أن أزمة العلوم الإنسانية تكمن في محاولتها تقليد النموذج الطبيعي، مما أدى إلى فقدانها لجوهرها و تخليها عن خصوصيتها، كذلك قد اغفلت هذه العلوم البعد الذاتي و الوعي، و اختزلت الإنسان في معطيات كمية و قوانين عامة، مما جعلها عاجزة عن الإحاطة بتعقيد الظواهر الانسانية ، حيث أن "هوسرل" يرى أن تجاوز هذا القصور يكون من خلال العودة إلى "الظواهر كما تعاش"، أي اعتماد المنهج الظاهراتي الذي يبدأ أمر التجربة الذاتية، و المعنى بذلك ،تستعيد العلوم الإنسانية طابعها الفلسفي و المعرفي العميق، و تؤسس لفهم حقيقي للإنسان كذات واعية، لا كموضوع خارجي.

الفصل الثالث

محاولة هوسرل لتجاوز أزمة العلوم الإنسانية

المبحث الأول: الفينومينولوجيا كمنهج

المبحث الثاني: الإدراك الظاهراتي

المبحث الثالث: إعادة بناء العلوم الإنسانية

تمهيد:

لم تعد أزمة العلوم الانسانية مجرد قضية داخلية تخص الباحثين المتخصصين، بل أصبحت تمس صميم علاقاتها بالعالم المعاصر ومكانتها ضمن خارطة الانتاج المعرفي، ففي خضم التحولات السريعة التي يشهدها العالم ومع صعود العلوم التقنية والطبيعية وجدت العلوم الانسانية نفسها أمام مازق منهجي ومعرفي يتجلى في تراجع قدرتها على تفسير الانسان وفهمه فهما عميقا أو التأثير الفعلي في مجريات الواقع.

لقد نشأت هذه الأزمة نتيجة تقليد العلوم الإنسانية للنموذج الوضعي والعلمي الصارم ومحاولتها اثبات شرعيتها عبر الاقتراب من نموذج العلوم الدقيقة، ما افقدها خصوصيتها وغايتها الأصلية في فهم الانسان بما هو كائن واع، حرّ، يحمل معنى ويصنعه في علاقته بالعالم، ومن هنا تبرز الحاجة الى اعادة النظر في الأسس المعرفية التّي تنطلق منها هذه العلوم وهو ما تقترحه الفينومينولوجيا كمقاربة بديلة.

حيث أن الفينومينولوجيا ليست مجرد إعادة ترتيب للأدوات، المنهجية بل هي محاوله جذرية لتفكيك المسلمات التي قامت عليها المعرفة الحديثة، والدعوة إلى العودة إلى التجربة الأصيلة، والى العالم كما يعاش لا كما يقاس، حيث أنها تؤمن بأن فهم الانسان لا يمكن أن يتم إلاّ عبر الانصات إلى تجربته ووعيه وإدراكه للعالم.

وينطلق هذا الفصل من هذا المنظور الفينومينولوجي ليقترح تصورا جديدا لتجاوز أزمة العلوم الإنسانية، من هنا نقدم جملة التساؤلات التالية: كيف يمكن للفينومينولوجيا أن تعيد المعنى والشرعية للعلوم الإنسانية؟ وبأي معنى يمكن القول بأن الإدراك الظاهراتي عند هوسرل يعيد للذات مكانتها في إنتاج المعرفة؟ وهل يمكن أن تتم إعادة بناء العلوم الإنسانية وفق تصور هوسرل؟

المبحث الأول: الفينومينولوجيا كمنهج

قبل التعمق في تفاصيل المنهج الفينومينولوجي وأبعاده، من الضروري أولا الوقوف عند مفهوم الفينومينولوجيا بحد ذاته، لما يحمله من خصوصية وغموضا آن واحد.

الفينومينولوجيا وباعتبارها تيارا فلسفيا معاصرا لا تقتصر على تعريف بسيط أو دقيق، بل تمتد لتشمل رؤية شاملة حول كيفية إدراك الإنسان للعالم من حوله، لذلك نسعى لتوضيح المعنى الأساسي للفينومينولوجيا، مما يمهد لفهم أعمق لمكانتها كمقاربة جديدة لفهم الوعي والتجربة الإنسانية.

الفينومينولوجيا لغة: تتألف الفينومينولوجيا (phénoménologie) من " الكلمتين اليونانيتين (logos) (phainómenon) والكلمة الأولى مشتقة من الفعل اليوناني (phainó) بمعنى يظهر أو يخرجْ إلى النور من (phō) الهندواوروبية، وترتبط بفكرة النور والوضوح.

والظاهرة * (phainómenon) هي ما يتبدى إلى النور، والكلمة (logos) تعني القول، وهو ظهور المعنى الخفي بحروف منطوقة، والفينومينولوجيا (حرفيا) هي علم الظواهر " [1].

ويعرفها "لالاند" في موسعته الفلسفية في معناها العام بأنها : « دراسة وصفية لمجموعة ظواهر،كما تتجلى في الزمان أو المكان، بالتعارض إما مع القوانين المجردة والثابتة لهذه الظواهر؛- وإما مع الحقائق المتعالية التي يمكنها أن تكون من تجلياتها؛- وأما مع النقد المعياري لمشروعيتها » [2] ، وهذا يعني أن الفينومينولوجيا تهتم بدراسة الظواهر دراسة وصفية.

كذلك "في دليل إكسفورد للفلسفة نجد المقابلة بين فينومينا phenomenon و نيومينا nomenon إذ يعني هذان اللفظان حرفيا " الأشياء التي تظهر" و " والأشياء التي يفكر فيها"، الأفكار و المثل الأفلاطونية

* الظاهرة : في اللغة مشتقة من الفعل "ظهر" بمعنى تبين، و "الظاهر" هو ما تبين من الشيء ، وظاهر الشيء يقابله باطنه ويتبعه معنى الظاهرة . ينظر :مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ،بيروت ط8 ، 2005 ، ص 434 . من الناحية الفلسفية فالظاهرة هي المعطى الحسي وتطلق بالمعنى الأوسع على كل الظواهر التي تشكل مادة العلوم ،ينظر : لالاند أندريه ،موسوعة لالاند الفلسفية ،مرجع سابقا ص 97 .

[1] عبد المنعم حنفي . المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة ، مكتبة مديولي، القاهرة ،ط3، 2000 ، ص 613 .

[2] أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية ، المرجع نفسه، ص 973.

نينومينا، و الفبـــنيومينا أشياء تعرض نفسها للإحساسات في استعارة "أفلاطون" الخاصة بالخط المنقسم، كلّ ما يقع أي أعلى الخط المقسم نيوميـنائي، وكل ما يقـع تحته فينومينائي ... تشكل هذه المثنوية الخاصية الفارقة لثنائية أفـــلاطون ،كـون النيومينا والعالم النيومينائي مواضيع المعرفة العليا ، الحقائق و القيم ، إنما يشكل تركة أفلاطون الأساسية في الفلسفة " [1].

من خلال هذه التعريفات يتبين لنا أن الفينومينولوجيا هي علم يهتم بدراسة العالم الخارجي دراسة وصفية، ومدى إرتباطها بالوعي الإنساني.

الفينومينولوجيا اصطلاحا: يقصد بها أنها فلسفة وصفية للتجربة الشعورية، هدفها وصف الظواهر كما تظهر في الشعور، دون تفسيرها أو الحكم عليها خارجيا، كما أنها تركز على العمليات الإدراكية والكشف عن مكونات الوعي كما تُعاش من الداخل .[2] ويُعتبر مصطلح الفينومينولوجيا مصطلحا حديثا يجمع بين معاني ثلاث تضم الفلسفة والعلم والمنهج.

بذلك تـكون الفيـنومينولوجيا هـــي دراسة الوعي بالظواهر وطريقة إدراكه لها، وكيـفية حـضور الظواهر في خبرته، فهي لا تهتم بما يصاحب عملية المعرفة من حالات ذهنية أو وظائف عضوية ترجع الى الجهاز العصبي، بل بكيفية إدراك الوعي للموضوع ووصوله الى معرفة موضوعية ويقينية حوله، أي بالاستعدادات المعرفية الموجودة لدى الذات الإنسانيّة والتي تمكنها من تأسيس معرفة يقينية، وهذه الاستعدادات ليست سلوكية، بل مرتبطة بالوعي الخاص، قبل أن يتصل بأي خبرة تجريبية" . [3]

[1] إسماعيل سالم فرحات ،المنهج الفينومينولوجي عند إدموند هوسرل ، مجلة العلوم الإنسانية، كلية الآداب، جامعة المرقب، ع 26 ، ليبيا، مارس 2023،ص ص 909، 910.

[2] سماح رافع محمد ، المذاهب الفلسفية المعاصرة ، مكتبة مدبولي، ط1، 1973، ص 95.

[3] إسماعيل سالم فرحات ،المنهج الفينومينولوجي عند إدموند هوسرل ، مرجع سابق ، ص 910.

* الماهية : في الغالبية تطلق على الشيء المتعقل، ينظر : عبد المنعم حنفي، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط3، 2000، ص 728. وفي الفينومينولوجيا تعني ظواهر الموضوعات المبتدية في الشعور الخالص، و تمثل تصورًا عقلياً.

لذلك فقـد عرف"هوسرل" الفينومينولوجيا في الـعديد من المؤلـفات نجد في كتابه " فكرة الفينومينولوجيا " بأنها " تحليل للماهية وبحث في الماهية * في نطاق نظري محض " [1].

هـذا يعني أن الفيــنومينولوجيا ليست علما تجريبيا مثل: الفيزياء أو علم النفس التجريبي، بل هي تأمل عقلي صرف، وهي تعتمد على الحدس، أي إدراك الماهيات إدراكا مباشرا، من خلال تأمل الوعي بذاته وما يحتويه من معاني، فالفينومينولوجيا ليست عملية استنباط منطقي، ولا تجريب علمي، بل أنها تمارس على مستوى العقل الخالص.

يعتبر هوسرل كذلك أن " الفينومينولوجيا الخالصة تتمثل في الوعي الخالص أي الشعور المحض، بمعنى أنها تعتمد على التأمل الخالص وحده الذي يستعبد أي نوع من الخيرة الخارجية " [2].

بمعنى أن الفينومينولوجيا الخالصة تهدف إلى دراسة الوعي كما هو في ذاته، دون الاعتماد على أي تجارب أو معطـيات خارجية، وهــي تركز فقط على الخبرة الذاتية الداخلية، أي "الشعور المحض"، مـن خلال تأمــل عقلي خالص، يستبعد كل ما هو خارجي أو مادي، للوصول إلى جوهر الظواهر كما تظهر في الوعي.

كذلك يبين "إدموند هوسرل" أن مصطلح "الفينومينولوجيا" لا يشير فقط إلى علم قائم بذاته، أو مجموعة من الميادين العلمية، بل يدل أيضا في جــوهره على منهج خاص وموقف تأملي للفكر، لا سيما في الفكر الفلسفي والمنهج الذي يتبناه هذا الفكر[3] .

أي أن "إدموند هوسرل" يوضح أن الفينومينولوجيا ليست مجرد علم يدرس ظواهر الوعي بل هي أيضا طريقه في التفكير ومنهج فلسفي قائم على التأمل العميق في التجربة الذاتية، أي أنها تجمع بين الجانبين العلمي والمنهجي في آنٍ واحد.

[1] هوسرل إدموند، فكرة الفينومينولوجيا، مصدر سابق، ص 89.

[2] أحمد ماريف، إدموند هوسرل، التأسيس لفكرة الفينومينولوجيا، إسهاماتها الهرمينوطيقية، مرجع سابق، ص 213.

[3] هوسرل إدموند: فكرة الفينومينولوجيا، مصدر سابق، ص 56.

لعل أهم تعريف للفينومينولوجيا هو " أنها العلم الكلي للمعرفة الإنسانية ولكافة العلوم الممكنة وأنها أسبق من شتى المعارف والعلوم الأخرى، وهي المنبع الذي يجب أن تنبثق منه كل هذه المعارف وتلك التي لا بد أن تستمد شرعية وجودها من الفينومينولوجيا باعتبارها الفلسفة الأولى لكل المعارف الممكنة وهي أيضا العلم الدقيق الذي سيصبح معياراً لبقية العلوم الأخرى" [1].

كل هذا يعني أن الفينومينولوجيا تعد أساس كل المعارف والعلوم، فهي الفلسفة الأولى والعلم الأصلي الذي تنبثق منه باقي العلوم ويجب أن تستمد منه مشروعيتها، لأنها تقدم معيارا دقيقا وضبط كل معرفة ممكنة، على الرغم من اختلاف التعاريف فإن الفينومينولوجيا تتمثل في ذلك العلم الكلي أو المنهج الذي يهتم بدراسة الظواهر وعلاقتها المباشرة بالوعي.

المنهج الفينومينولوجي: نشأ المنهج الفينومينولوجي في سياق أزمة عميقة كانت تعاني منها العلوم الإنسانية، حيث بدأت هذه العلوم تفقد قدرتها على تقديم فهم شامل للإنسان ومعنى وجوده، نتيجة لتأثرها بالمناهج الوضعية التي تركز على الموضوعية والقياس، متجاهلة البعد الذاتي والتجربة الحية للفرد، وقد أدرك "هوسرل" أن هذا التقليد العلمي المستمد من العلوم الطبيعية غير كاف لفهم الظواهر الإنسانية المعقدة، لذلك اقترح المنهج الفينومينولوجي كبديل يقوم على العودة إلى "الخبرة الأصلية" للإنسان، أي إلى وعيه المباشر بالأشياء، كما تُعطى له في تجربته، بهدف استكشاف المعاني التي تتشكل في هذا الوعي و من هنا جاء المنهج الفينومينولوجي كإستجابة فلسفية لأزمة العلوم الإنسانية، ساعيا إلى تأسيس معرفة أكثر عمقا وإنسانية، ولقد كانت هناك أفكار ممهدة لعلم الظاهريات الخالص وللفلسفة الظاهرياتية لإدموند هوسرل في مؤلفه ذلك أين يضع الأسس النظرية والمنهجية للظاهريات (الفينومينولوجيا) كعلم فلسفي جديد يهدف إلى دراسة الوعي والظواهر كما تظهر في خبرة الإنسان الذاتية، بعيدا عن الافتراضات المسبقة للعلوم الطبيعية أو علم النفس التقليدي.

[1] سماح رافع محمد، الفينومينولوجيا عند هوسرل، دراسة نقدية في التحديد الفلسفي المعاصر، مرجع سابق، ص 93.

يعتبر المنهج الفينومينولوجي عند "هوسرل" في جوهره منهجا وصفيا، يهدف بالدرجة الأولى إلى إقامة نظام سيكولوجي قبلي يُعد أساسا متينا لبناء علم نفس تجريبي قائم على أسس فلسفية راسخة، كما سعى "هوسرل" من خلال هذا المنهج إلى وضع فلسفة كلية تكون بمثابة معيار نقدي لفحص مناهج ونتائج مختلف العلوم، الأمر الذي يجعل من الفينومينولوجيا مشروعا فلسفيا طموحا يتجاوز حدود التحليل النفسي والتجريبي ليؤسس لنظرة منهجية متكاملة للمعرفة [1].

حيث أن هذا المنهج يرتقي بالفلسفة إلى مستوى العلوم المحكمة الدقيقة، فينطلق فيه أولا من نقده للرياضيات ليصل في النهاية إلى أسلوب يمكنه من الوصول إلى الحقائق بثبات ووضوح [2] .

بمعنى أن المنهج الفينومينولوجي عبارة عن توجه فلسفي يسعى إلى جعل الفلسفة أكثر دقة وصرامة، على غرار العلوم الرياضية، حيث ينطلق الفينومينولوجي من نقده للرياضيات والعلوم الطبيعية، معتبرا أنها تهمل "الخبرة الذاتية" والمعنى الذي تمنحه الذات للأشياء، ومن هنا يدعو "هوسرل" إلى التركيز على وصف التجربة كما تظهر في وعي الذات، حيث يسعى إلى الوصول إلى حقائق ثابتة وواضحة، تنطلق من الوعي الخالص، وتقوم على الحدس المباشر، مما يمنح الفلسفة دقة وصرامة مشابهة للعلوم المحكمة.

لذلك نجد أن القاعدة الأولى والأساسية في المنهج الفينومينولوجي تتمثل في " الإتجاه إلى الاشياء ذاتها"، وكلمة "شيء" تعني هنا المعطى أي ما نراه أمام وعينا، هذا المعطى يسمى « ظاهرة »، لأنه يظهر أمام الوعي ولا تدل كلمة "شيء" على أن هناك شيئا مجهولا يوجد خلف الظاهرة [3].

أي أن المنهج الفينومينولوجي يتميز بدراسة الماهيات الخالصة من خلال التوجه نحو " الأشياء ذاتها " أي كما تعطى مباشرة في الشعور دون الفصل بين حقيقة الشيء ومظهره باعتباره ظاهرة تتبدى في الوعي، مع استبعاد الأحكام المسبقة وسعيه لجعله علما يتجه إلى البحث عن المعاني والماهيات الخالصة.

---

[1] فؤاد كامل، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، دار الجيل، بيروت، ط1، بيروت، 1993، ص 163.

[2] المرجع نفسه، ص 162.

[3] أ. م يوشنسكي، الفلسفة المعاصرة في أوروبا، تر: عزت قرني، عالم المعرفة، الكويت، ع 165، 1992، ص184.

لهذا فإن المنهج الفينومينولوجي ليس استنباطيا، وليس منهجاً تجريبيا، فهو ينحصر في إظهار ما هو معطى، وفي إيضاح هذا المعطى، ولا يعتمد في ذلك على قوانين ولا يقوم بأي استنباط بدءًا من مبادئ، وانما يعالج مباشرة ما يأتي بين أيدي الوي وفي متناوله، ويتمثل ذلك في الموضوع.

إذن، المنهج الفينومينولوجي يهدف كلية إلى أن يكون منهجا موضوعيا، إن ما يهتم به مباشرة ليس هو الفكرة الذاتية ولا هو حتى العمليات التى تقوم بها الذات (على الرغم من إمكان تطبيق المنهج الفينومينولوجي على هذه العمليات ذاتها باعتبارها معطيات) ، انما هو « ما هو » معروف، أو مشكوك فيه، أو محبوب، أو مكروه"[1].

بمعنى أن المنهج الفينومينولوجي يهدف إلى تحقيق أقصى قدر من الموضوعية، فهو لا يركز على الأفكار الذاتية الخاصة بالفرد، أو على العمليات العقلية الداخلية إلى يقوم بها، رغم أنه يمكن دراسة هذه العمليات نفسها كظواهر، ما يهمه بالدرجة الأولى هو "الشيء ذاته " كما يظهر في التجربة المباشرة، أي كيف يعطى لنا الشيء في وعينا، سواء كنا نعرفه أو نشك فيه أو نحبه أو نكرهه، هذا لأنه يهتم بوصف الظواهر كما تبدو لنا بشكل دون تدخل أحكام مسبقة أو تفسيرات نظرية، فتسعى إلى فهم الخيرة الحية للإنسان تجاه الأشياء في العالم كما تظهر له، لذا يقترح هوسرل العودة إلى "الفينومينولوجيا"، أي دراسة الظواهر كما تظهر في الوعي الإنساني، وإعادة تأسيس العلوم والفلسفة على أساس خبرة الإنسان الذاتية [2]، بهذه الطريقة، يمكن استعادة العلاقة بين الإنسان والعالم، وإعادة المعنى والهدف إلى الوجود الإنساني [3].

هذه هي البداية الحقيقية لتجاوز الأزمة في نظر هوسرل: أن نربط العلوم من جديد بالذات الحية، أن نُعيدها إلى الغايات التي تأسست لأجلها، وأن نخرج من نسقية التعالي المغلقة، لندخل في أفق التجربة الإنسانية،

[1] أ.م يوشنسكي، الفلسفة المعاصرة في أوروبا، مرجع سابق، المرجع نفسه، ص 185.

[2] عرفه عبد الرحمن أحمد عبد الرحمن النادي، ادموند هوسرل والمنهج الفنومينولوجي "فلسفة الظواهر"، مرجع سابق، ص ص 2545، 2546.

[3] هوسرل إدموند، فكرة الفينومينولوجيا، مصدر سابق، ص 44.

ومن هنا نفهم لماذا اعتبره الكثيرون أستاذ الفلاسفة، لأنه لم يكتف بنقد الحداثة، بل قدّم سبيلًا لفهمٍ جديد للإنسان والعلوم، سبيلا يستعيد المعنى الضائع في عالمٍ يتجه أكثر فأكثر نحو التجريد والتشييء [1].

وضع "ادموند هوسرل" خطوات دقيقة لمنهجه الفلسفي يهدف الوصول إلى معرفة يقينية تنطلق من الخبرة الذاتية المباشرة وتعتبر المحور الأساسي الذي تتجلى من خلال رؤيته الفلسفية في فهم الظواهر، فمن خلال هذه الخطوات يسعى الفينومينولوجي الى تجاوز المعطى السطحي للخبرة، ليكشف عن بنيتها العميقة كما تعطى في الوعي، دون افتراضات مسبقة أو تأويلات خارجية. وتتمثل هذه الخطوات فيما يلي:

أولا – تعلـيق الحكم : " يعـني تعليق الحكم عند "هوسرل" وضع العـالم بين قوسـين أو وضعه خـارج الميـدان، ويعني بذلك عدم الحديث عن الظاهرة المادية وإزاحتها جانبا وإخراجها من موضع الاهتمام، وعدم التعرض لها، أو اصدار حكم عليها، ويرمي" هوسرل" من ذلك إلى القضاء على الإتجاه الطبيعي بكل مظاهره المادية من نفسية ووضعية وانثروبولوجية وبيولوجية، وذلك بالتفرقة « علم الماهيات »، الذي يأخذ الماهية موضوعا له، و « علم الوقائع » الذي يأخذ الواقعة موضوعا له "، [2] أي أن تعليق الحكم عند "هوسرل" يكمن في استبعاد العالم من دائرة الاهتمام، وتجنب الغوص فيه أو إصدار أحكام بشأنه، فالنظر إلى العالم على هذا النحو يصبح مجرد ظاهرة تظهر في نطاق الوعي، وهو ما يسعى "هوسرل" إلى توضيحه، حيث يرجع كل شيء إلى الوعي، لأن "هوسرل" أراد التخلص من الإتجاه الطبيعي بجميع مظاهرة المادية، ولهذا السبب فرق بين علم الماهيات الذي يجعل من الماهية موضوعا له، وبين علم الوقائع الذي يركز على الواقعة بوصفها موضوعا للدراسة، لكن ليس المقصود من الوضع بين أقواس ما يقصده "ديكارت" من الشك المنهجي، وإنما المقصود هو الإيبوخية أي تعليق الحكم، والتعلق بالأحكام الشائعة، حيث يسعى للوصول إلى المنطقة المطلقة للأنا المحض والشعور المحض، وهنا لا يحتاج إلى ما

[1] عبد الحفيظ البار، محاضرات على اليوتيوب، https://www.youtube.com/watch?v=OoG7wXScQTI&t=11s، تاريخ الولوج: 01-05-2025 على الساعة 20:00.

[2] - حسن حنفي، في الفكر العربي المعاصر، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط4، 1990، ص ص255، 256.

هو واقعي، ولا ينبغي الخلط بينهما، وبين الأنا التجريبي المعطى في الإدراك الباطن، [1] كما لم يطلق هوسرل على الرد اسمي الإيبوخيه والتعليق فقط، بل أطلق عليه كذلك تسميات أخرى كثيرة، من بينها الوضع بين قوسين كما ذكرنا، الوضع خارج دائرة العمل، الوضع خارج دائرة الفعل، الامتناع، الانقطاع، التوقف، الانسحاب، الإقصاء، البطلان النظري، اللامبالاة، ...[2]

إذ يتعلق الأمر حرفيا بالتوقف، أي بقطع تيار الأفكار اليومية، التي تكون آراء بقدر ما تكون قناعات، والتساؤل حول زعمها بأنها حقيقية، وتبديد في كل واحدة منها أي حكم مسبق يجهل نفسه، والتقصي عنه، حيث سنعلق حكمنا على الأشياء قصد مساءلتها عن مدى صحتها. [3]

حيث أن المنهج الفينومينولوجي في هذه المرحلة لم يصل إلى تأسيس المعرفة الترنسندنتالية الممكنة، لأن المعرفة لا تتوقف عند النقد الفينومينولوجي وتعليق الاحكام إتجاه الآراء والموافق التاريخية، أو من خلال الظواهر المعطاة لنا في فعل المعرفة.

" فالفينومينولوجي لا يتوفر أبدًا بمجرد انجاز الإيبوخي على أفق مشاريع ممكنة تلقائيا، فلا يوجد أمامه مباشرة حفل ترنستندالي للعمل، مشكل مسبقا في نمطية تلقائية، إن العالم هو المجال الوحيد لتلقائيات معطاة مسبقا "[4]، أي أن المنهج الفينومينولوجي يحتاج ليثبت فعاليته من خلال مرحلة البناء والتأسيس، لأن الإيبوخي بعد الخطوة التمهيدية التي تفتح الطريق أمام إنجاز هذه المهمة.

ثانيا – البناء : يعد البناء المرحلة الثانية التى يظهر فيها الشعور بوصفه قصدا متبادلا يتكون من قالب ومضمون، فالقالب يمثل الجانب النظري العقلي في الأنا الخالصة، وهو ما أطلق عليه "ديكارت" " الأنا المفكرة " وسماه "كانط" "الترانسندنتالية "، أي الذات التقليدية في نظرية المعرفة، أما المضمون، فيمثل عند "هوسرل" محتوى

[1] عبد الرحمن بدوي، مدخل جديد إلى الفلسفة، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1975، ص 135.
[2] سليمة قايد، خصائص الرد الهوسرلي، مجلة أفكار وآفاق، م 8، ع 2، 2020، ص 101.
[3] ليلى الحيمر وأحمد الفرحان، نظرية المعرفة عند "إدموند هوسرل" من الوجود الواقعي إلى الماهية، مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية، م 5، ع 2، 2024، ص 235.
[4] هوسرل ادموند، ازمة العلوم الأوروبية والفينومينولوجيا الترنسندتالية، مصدر سابق، ص 279.

الشعور ذاته، وفي هذا السياق يعمل "هوسرل" على تجاوز الاتجاهات السابقة الى تناولت الشعور من منظور طبيعي أو حسي، حيث يرى أن الشعور يتضمن الذات والموضوع معا، مما يمكنه من تجاوز التعارض التقليدي بين المثالية الذاتية والواقعية الموضوعية، فالشعور لديه يشبه عملة ذات وجهين أحد هما الذات والآخر الموضوع، وهنا يبرز دور المنهج الفينومينولوجي في تحليل الشعور بوصفه تحليلا للقصد المتبادل، أي تحليلا يتناول المعرفة والوجود في آن واحد [1].

بمعنى أن "هوسرل" يرى أن الشعور ليس مجرد حالة داخلية، بل هو علاقة قصدية بين الذات والموضوع، أي أنه يجمع بين الجانبين في آن واحد، ومن خلال الفينومينولوجي يسعى إلى تحليل هذا الشعور لفهم المعرفة والوجود، متجاوزا بذلك الانقسام التقليدي بين المثالية الذاتية والواقعية الموضوعية.

ثالثا– منهج الإيضاح : " مهمته توضيح الصلة بين الفينومينولوجيا والأنطولوجيا، وكذلك الصلة بين الفينومينولوجيا وعلم النفس، وذلك لوجود ثلاث مناطق متداخلة: النفس والبدن والشيء، فالنفس موضوع الفينومينولوجيا والبدن موضوع علم النفس، والشيء موضوع الأنطولوجيا "[2]، وتظهر مهمة الإيضاح في تحديد العلاقات بين هذه المناطق والعلوم الانسانية. والمطابقة لها من خلال البحث عن الموضوع الحدسي أو التحليلات اللغوية للتصورات ويتمثل هذا الإيضاح في ثلاث نقاط متمايزة وأساسية:

– الإيضاح اللغوي تميزاً بين الألفاظ المتشابهة وفهم معانيها بدقة.

– توضيح الشيء في سياق مقارنته بالأشياء الأخرى، أي إبراز معناه من خلال علاقاته.

– السير والكشف داخل الشعور، حيث سينكشف المعنى الكامن ليصبح واضحاً وظاهراً عبر الشرح والبيان.

يعتبر الإيضاح هو العمل النهائي لازمة العلوم الانسانية إلى تقوم على الخلط بين المستويات، وبما انه قائم على التمييز فهو يعتبر حركة إصلاحية في التاريخ [3].

[1] حسن حنفي، في الفكر العربي المعاصر، مرجع سابق، ص 257 .

[2] المرجع نفسه، ص 259.

[3] – مصطفى كمال المعاني، رائد عبد الجليل العواودة، الهيرمينوطيقا الغربية، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2018، ص ص 383، 384.

من خلال ما سبق يتبين لنا أن المنهج الفينومينولوجي يقوم على ثلاث خطوات مترابطة وتشكل طريقا لفهم الوعي الانساني تبدأ بتعليق الحكم، حيث يتم تجميد كل الافتراضات المسبقة لفهم الظواهر كما تعطى في التجربة المباشرة، يليه البناء، حيث يكشف الشعور كعملية قصدية تربط بين الذات والموضوع، ثم تأتي مرحلة الايضاح التى تسعى إلى توضيح المعاني الكامنة عبر التحليل الحدسي واللغوي، بهدف الوصول إلى فهم عميق ودقيق للوجود والمعرفة كما تتجليان في الشعور.

المبحث الثاني: الإدراك الظاهراتي

يُعد الإدراك الظاهراتي من المفاهيم المركزية في الفلسفة الحديثة، وخاصة في الفينومينولوجيا التي أسسها إدموند هوسرل، ينطلق هذا المفهوم من فكرة أساسية مفادها أن كل معرفة بالعالم تبدأ من خبرة الذات المدركة، وأن الأشياء لا تُعطى لنا إلا كما تظهر في وعينا، أي كما تُدرك وتُعاش مباشرة في التجربة، فالإدراك الظاهراتي لا يهتم بماهية الأشياء في ذاتها أو بما هو خارج نطاق الوعي، بل يركز على كيفية ظهورها للذات، وعلى الشروط التي تجعل هذا الظهور ممكنا ومفهوما. من هذا المنظور، يصبح الإدراك ليس مجرد عملية نقل سلبي للمعلومات من الواقع إلى الذهن، بل هو فعل قصدي، أي أن الوعي يتجه دائماً نحو موضوع ما ويمنحه معنى ضمن سياق التجربة المعاشة [1].

لقد سعى هوسرل من خلال تحليله للإدراك الظاهراتي إلى تجاوز النزعة الطبيعية أو الوضعية التي تختزل المعرفة في مجرد رصد موضوعي للظواهر، وبدلاً من ذلك دعا إلى العودة إلى "الأشياء ذاتها" كما تُعطى في الخبرة الحية، فالإدراك الظاهراتي يكشف عن أن كل تجربة إدراكية مشروطة بسياق الذات، وبنيتها، ونواياها، وأن المعنى لا يوجد خارج الوعي بل يتشكل داخله من خلال التفاعل بين الذات والعالم، بهذا المعنى، يمثل الإدراك الظاهراتي محاولة لفهم العلاقة الأصلية بين الإنسان والعالم، ويعيد الاعتبار للخبرة الذاتية بوصفها منبع كل معرفة ممكنة، ويؤسس بذلك لموقف فلسفي يربط بين الوعي والمعنى في أفق جديد يتجاوز الثنائية التقليدية بين الذات والموضوع [2].

الإدراك الظاهراتي (Phenomenological Perception) هو مفهوم فلسفي ونفسي يُعنى بدراسة كيفية ظهور الأشياء للوعي الإنساني كما تُعاش وتُختبر ذاتيا، وليس كما تُفسَّر أو تُحلَّل من الخارج. يرتبط هذا المفهوم ارتباطا

[1] هوسرل إدموند، الأفكار التمهيدية في الظاهراتية الخالصة والفلسفة الظاهراتية، تر: ماجد فخري، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت، لبنان، 2006، ص 45.

[2] المرجع نفسه، ص 57.

وثيقا بالفلسفة الظاهراتية التي أسسها إدموند هوسرل، والتي تركز على وصف الخبرة الحسية والمعيشة كما تظهر للذات، دون افتراضات أو تأويلات مسبقة [1].

كما تُعد الأسس الفلسفية للإدراك الظاهراتي محورا مركزيا في الفلسفة المعاصرة، إذ تهدف إلى فهم كيفية ظهور العالم للوعي الإنساني كما يُعاش ويُختبر بشكل مباشر، ينبع هذا التوجه من الفلسفة الظاهراتية التي أسسها إدموند هوسرل، والتي دعت إلى العودة إلى "الأشياء ذاتها" من خلال وصف الخبرة الحسية والمعيشة دون افتراضات أو تفسيرات مسبقة، تركز هذه الأسس على تحليل العلاقة بين الذات المدركة والعالم، وتؤكد أن الإدراك ليس مجرد استقبال سلبي للمنبهات، بل هو عملية نشطة يشارك فيها الوعي من خلال القصدية والترابط مع الجسد والزمنية، بذلك، تضع الفلسفة الظاهراتية الإدراك في قلب التجربة الإنسانية، وتمنح الأولوية للكيفية التي تظهر بها الظواهر للذات، بعيدا عن التأويلات الموضوعية أو العلمية التقليدية [2].

الظاهراتية تسعى إلى العودة إلى "الأشياء ذاتها" كما تظهر في الوعي، أي إلى التجربة المباشرة الخالية من التفسيرات العلمية أو الميتافيزيقية، كما أن الإدراك الظاهراتي يختلف عن الإدراك التقليدي الذي يركز على تفسير الحواس أو العمليات العصبية، إذ يهتم بوصف الكيفية التي تظهر بها الظواهر للذات الواعية، ويُنظر إلى الإدراك على العموم بأنه عملية نشطة يشارك فيها الوعي، وليس مجرد استقبال سلبي للمنبهات الخارجية. [3]

من جهة أخرى، تُعد خصائص الإدراك الظاهراتي من الركائز الأساسية لفهم كيفية تفاعل الإنسان مع العالم المحيط به من منظور ذاتي ومعيشي، يركز هذا النوع من الإدراك على وصف التجربة كما تظهر للوعي الفردي، معتبرا أن الإنسان لا يدرك الأشياء فقط كمجرد منبهات حسية، بل يعيشها ويمنحها معاني ودلالات خاصة من خلال تفاعله المباشر معها، تنبع أهمية دراسة خصائص الإدراك الظاهراتي من قدرتها على الكشف عن الفروق الدقيقة بين الإدراك الكلي والجزئي، ودور العوامل الحسية والمعرفية في تشكيل الخبرة الإنسانية، إضافة إلى إبراز التفاعل بين الانتباه والإدراك في تكوين صورة واضحة ومتكاملة عن الواقع، من هنا، فإن فهم هذه الخصائص يتيح لنا استيعاب كيفية بناء الإنسان لمعانيه وتفسيراته الخاصة للعالم، ويعزز من قيمة التجربة الذاتية في البحث الفلسفي والمعرفي [4].

[1] هوسرل إدموند، أفكار ممهدة لعلم الظاهريات الخالص وللفلسفة الظاهراتية، تر: أبو يعرب المرزوقي، جداول، ط1، الكويت، 2011، ص ص 102،121.

[2] عرفه عبد الرحمن أحمد عبد الرحمن النادي، ادموند هوسرل والمنهج الفنومينولوجي "فلسفة الظواهر"، مرجع سابق، ص ص 2567،2583.

[3] هوسرل إدموند، الأفكار التمهيدية في الظاهراتية الخالصة والفلسفة الظاهراتية، تر: ماجد فخري، مرجع سابق، ص 62.

[4] المرجع نفسه، ص ص 2563 ،2588.

أ– الذاتية :يُبنى الإدراك الظاهراتي على التجربة الذاتية للإنسان، أي كيف يشعر الفرد ويختبر العالم من منظوره الخاص.

ب– القصدية :كل إدراك هو إدراك لشيء ما (أي أن الوعي دائماً موجَّه نحو موضوع)، وهذه القصدية هي جوهر التجربة الظاهراتية.

ج– الزمنية :التجربة الإدراكية ليست لحظة ثابتة، بل تتكشف عبر الزمن، حيث تتداخل الذكريات والتوقعات مع اللحظة الحاضرة.

د– الترابط مع الجسد :الجسد يُنظر إليه كوسيط أساسي في الإدراك، فالإحساس بالعالم يمر عبر الجسد، كما أشار الفيلسوف موريس ميرلوبونتي.

كما يكتسب الإدراك الظاهراتي أهمية متزايدة في العديد من المجالات التطبيقية، إذ يوفر منظورا فريدا لفهم التجربة الإنسانية كما تُعاش من الداخل، فمن خلال التركيز على وصف الخبرة الذاتية والمعيشة، يتيح الإدراك الظاهراتي للباحثين والممارسين النفاذ إلى أعماق الوعي الإنساني، بعيدا عن التفسيرات الخارجية أو الاختزالية، وقد انعكس هذا التوجه في تطبيقات واسعة شملت الفلسفة، وعلم النفس، والطب النفسي، والفن، والأدب، حيث يُستخدم في تحليل التجارب الفردية، وفهم الحالات النفسية، وتفسير الأعمال الإبداعية من منظور معايشة المتلقي أو المريض، هكذا، تبرز تطبيقات الإدراك الظاهراتي كأداة فعالة لفهم التعقيد والغنى في التجربة البشرية، وتوسيع آفاق البحث في مجالات المعرفة الإنسانية [1].

بذلك يحتل مفهوم الإدراك مكانة محورية في الفلسفة، إذ يشكل أساساً لفهم العلاقة بين الذات والعالم، ويطرح تساؤلات عميقة حول كيفية تشكل المعرفة والمعنى. لقد تناول الفلاسفة عبر العصور تطبيقات الإدراك في مجالات متعددة، بدء من نظرية المعرفة وصولا إلى الأخلاق وفلسفة العلم والجماليات، ففي الفلسفة الحديثة، اهتم ديكارت وكانط بتحليل شروط إمكان الإدراك، حيث رأى ديكارت أن الإدراك يرتبط بالوضوح والتمييز، بينما اعتبر كانط أن الإدراك يعتمد على الأطر القبلية للذهن مثل الزمان والمكان والمقولات، أما في الفينومينولوجيا، فقد طور هوسرل وميرلو–بونتي فهما جديدا للإدراك يقوم على وصف الخبرة كما تظهر للوعي، مؤكدين أن الإدراك فعل قصدي وأن الأشياء تُمنح للذات من خلال التجربة المعاشة وليس عبر تمثيلات مجردة.

[1] حنان بونيف وهجيرة بوساق، المنهج الظاهراتي وتطبيقاته في الدراسات السوسيولوجية، مجلة الحكمة لدراسات الفلسفية، م 11، ع 2، ص ص 737 ،741.

إن تطبيقات الإدراك في الفلسفة تؤكد أن المعرفة ليست مجرد استقبال سلبي للمعطيات، بل هي عملية تفاعلية معقدة بين الذات والموضوع، وأن فهم العالم يظل رهينا بكيفية إدراكنا له وتفسيرنا لمعطياته. بهذا المعنى، يظل الإدراك موضوعا مركزيا في النقاشات الفلسفية، سواء تعلق الأمر بالوجود، أو المعرفة، أو القيم، أو الفن، أو العلم.

في هذا السياق، يميّز هوسرل بين الإدراك الطبيعي والإدراك الظاهراتي. فالإدراك الطبيعي هو ذلك الذي نقوم به في حياتنا اليومية، حيث نتعامل مع الأشياء كما لو أنها موجودة في ذاتها، دون أن نتساءل عن كيفية حضورها في وعينا، أما الإدراك الظاهراتي، فهو إدراك يتجاوز هذا التعامل البديهي، ويقوم على تعليق الحكم الوجودي على الشيء (الإيبوخي)، أي الامتناع مؤقتا عن القول بوجوده أو عدم وجوده، من أجل التركيز على كيفية ظهوره وتجلّيه في الوعي.

إن الإدراك الظاهراتي يسمح لنا بفهم الظواهر الإنسانية من داخلها، من خلال وصف دقيق لكيفية عيشها وتكوّنها داخل الشعور، فمثلا، عندما يدرك الإنسان الألم، فهو لا يتعامل مع الألم كموضوع خارجي، بل يعيشه بشكل مباشر وفوري، هذا العيش المباشر هو ما تسعى الفينومينولوجيا إلى وصفه وتحليله، دون وساطة أو تأويلات خارجية، ومن هنا، تنبع أهمية الإدراك الظاهراتي في العلوم الإنسانية، لأنه يمكنها من فهم الظواهر لا كأشياء قابلة للقياس فحسب، بل كخبرات معيشة ذات معنى داخلي [1].

إن الإدراك الظاهراتي هو جوهر المنهج الفينومينولوجي، لأنه يُمكّننا من الرجوع إلى التجربة الأصلية للأشياء، دون أحكام مسبقة، ودون اختزال الإنسان في معادلات كمية أو سلوكيات سطحية، وهذا ما يجعل من مشروع هوسرل دعوة حقيقية إلى استعادة الذات في قلب العملية المعرفية، وتجاوز الانفصال القائم بين الإنسان والعالم الذي كوّنه بعقله، لكنه لم يعد يشعر بالانتماء إليه، فالإدراك الظاهراتي هو طريق العودة إلى المعنى، إلى الذات، إلى العالم كما يُعاش لا كما يُقاس فقط.

كما أنه لا يمكن الحديث عن إصلاح حقيقي للعلوم الإنسانية دون تأسيس جديد للإدراك والمعرفة على أساس ظاهراتي، وهذا هو جوهر ما اقترحه هوسرل: أن تعود المعرفة إلى أصلها، إلى التجربة الذاتية الأولى، إلى لحظة التقاء الوعي بالعالم، وهناك فقط يمكن للعلوم الإنسانية أن تستعيد معناها وغرضها الإنساني العميق.

[1] هوسرل إدموند، أفكار ممهدة لعلم الظاهريات الخالص وللفلسفة الظاهراتية، مصدر سابق، ص ص 102 ،121.

يُمكّن الإدراك الظاهراتي من فهم أعمق للوعي الإنساني، والمشاعر، والدوافع، والمعاني التي يُضفيها الإنسان على العالم. كما يُستخدم في العلاج النفسي لفهم معاناة المرضى من الداخل، مما يساعد على بناء علاقة علاجية أكثر فعالية، ويساهم في تطوير مناهج تربوية تراعي الفروق الفردية في الخبرة والإدراك بين الطلاب [1].

إلا أن الإدراك الظاهراتي عددا من النقد والتحديات التي أثارت نقاشا واسعا في الأوساط الفلسفية والعلمية، تنبع هذه التحديات أساسا من تركيز الظاهراتية على التجربة الذاتية والمعيشة، مما يثير تساؤلات حول مدى إمكانية تعميم نتائجها أو اختبارها علميا، كما يُنظر إلى اعتمادها الكبير على الوصف الذاتي كعامل قد يؤدي إلى الوقوع في التحيزات الشخصية وصعوبة الفصل بين الذات والموضوع، بالإضافة إلى ذلك، يواجه الإدراك الظاهراتي تحديات في التوفيق بين منهجه التأملي الذاتي ومتطلبات البحث العلمي الموضوعي، الأمر الذي يدفع بعض الباحثين إلى التشكيك في قدرته على تقديم معرفة دقيقة أو قابلة للتحقق حول طبيعة الإدراك البشري، من هنا، يشكل نقد وتحديات الإدراك الظاهراتي محوراً مهماً لفهم حدوده وإمكاناته ضمن السياق الفلسفي والمعرفي المعاصر، إذ يُنتقد أحيانا لاعتماده المفرط على الذاتية، مما يصعب تعميم نتائجه أو اختبارها علميا، كما أنه يتطلب تدريبا فلسفيا عميقا لفهم وتحليل التجربة الذاتية دون الوقوع في التحيزات الشخصية.

من خلال ما سبق يمكن القول بأن الإدراك الظاهراتي هو مقاربة فلسفية ونفسية تهدف إلى فهم كيف تظهر الأشياء في الوعي الإنساني كما تُعاش وتُختبر ذاتيا، يركز على وصف التجربة المباشرة، ويُعد أداة قوية في فهم الذات الإنسانية، رغم ما يواجهه من تحديات تتعلق بالذاتية وصعوبة التعميم.

[1] هوسرل إدموند، أفكار ممهدة لعلم الظاهريات الخالص وللفلسفة الظاهراتية، مصدر سابق، ص ص 102 ،121.

المبحث الثالث: إعادة بناء العلوم الإنسانية

أحدثت فلسفة إدموند هوسرل تحولا جذريا في فهم العلوم الإنسانية من خلال مشروعه الظاهراتي (الفينومينولوجيا)، الذي سعى إلى تأسيس منهجية جديدة تعيد الاعتبار للتجربة الإنسانية المباشرة كأساس لفهم الظواهر الاجتماعية والثقافية، انطلق هوسرل من نقد حاد للاتجاهات الوضعية (البوزيتيفية) التي هيمنت على العلوم في عصره، معتبرا أنها اختزلت الإنسان إلى مجرد "شيء" يُدرَك من الخارج، متجاهلة البُعد الذاتي والمعيشي للتجربة الإنسانية.

تُعد الأسس الفلسفية لإعادة بناء العلوم الإنسانية محورا جوهريا في أي مشروع يروم تطوير المعرفة الإنسانية وتجديدها، تنطلق هذه الأسس من نقد المناهج التقليدية التي قد تهيمن عليها الرؤية الوضعية أو التفسيرية الضيقة، وتسعى إلى إعادة صياغة المفاهيم والمنهجيات بما يتناسب مع خصوصية الظاهرة الإنسانية وتعقيدها، في هذا السياق، تهدف إعادة البناء إلى تأسيس منهجية أكثر التصاقاً بالتجربة الإنسانية، تراعي البعد الذاتي والمعيشي للإنسان، وتعيد الاعتبار للمعاني والقيم التي يحملها الأفراد والمجتمعات في وعيهم وسلوكهم، وتستلهم هذه الأسس من الفلسفات التي تؤكد على مركزية الإنسان في المعرفة، مثل الفينومينولوجيا، وتدعو إلى تجاوز التحيزات المسبقة والانفتاح على إمكانات جديدة لفهم الواقع الإنساني في أبعاده المتعددة.

فلقد رأى هوسرل أن العلوم الطبيعية سيطرت على المنهجية البحثية في العلوم الإنسانية، مما أدى إلى إقصاء البُعد الإنساني الفريد، ففي كتابه *أزمة العلوم الأوروبية* (1936)، أكد أن هذه الأزمة تنبع من فصل العلم عن "عالم الحياة(Lebenswelt) "، أي العالم كما نعيشه يومياً قبل أي تأويل نظري [1].

كما اقترح هوسرل منهجاً وصفياً يركز على "القصدية – (Intentionality) "أي توجه الوعي نحو الأشياء كأداة لفك شفرة الظواهر الإنسانية. فالفهم الحقيقي للتاريخ أو الثقافة أو النفس لا يتم عبر قوانين سببية، بل عبر تحليل كيفية ظهور هذه الظواهر في الوعي الإنساني. [2]

لقد دعا هوسرل كذلك إلى تعليق الأحكام المسبقة ("الابوخي") لرؤية الظواهر كما تظهر بذاتيتها، دون تأثر بالنظريات أو الفرضيات الخارجية، هذا المبدأ يُعيد تشكيل منهجية البحث في العلوم الإنسانية لتصبح أكثر التصاقاً بالتجربة المعيشة [3].

[1] فاطمة الزهراء فقير، الفينومينولوجيا بوصفها تأويلا، مجلة الحوار الثقافي، م 7، ع 1، 2017، ص ص 9 ،12.

[2] هوسرل إدموند، أفكار ممهدة لعلم الظاهريات الخالص وللفلسفة الظاهراتية، مصدر سابق، ص 97.

[3] فيصل لكحل، المنهج الفينومينولوجي وإشكالية المعرفة "قراءة في فلسفة إدموند هوسرل"، مرجع سابق، ص 284.

إلا أن المشروع الفينومينولوجي لإدموند هوسرل، رغم ثورته الفلسفية، واجه انتقادات وتحديات جوهرية عصفت بأسسه المنهجية ومدى إمكانية تطبيقه في فهم الظواهر الإنسانية والعلمية، تنبع هذه التحديات من محاولة هوسرل التوفيق بين الطموح ببناء "علم صارم" للوعي وبين الطبيعة الذاتية والمعيشة للتجربة الإنسانية.

أولا، يُناقَش مبدأ الابوخي – (Epoché) أي تعليق الأحكام المسبقة – كعقبة منهجية: هل يمكن فعلا للباحث أن يعزل نفسه عن افتراضاته الثقافية أو التاريخية ليرى الظواهر "كما هي"؟ يرى نقاد مثل مارتن هايدغر أن هذا المبدأ مستحيل التحقق، لأن الوعاء الإنساني مرتبط جوهريا بسياقه الوجودي (الوجود-في-العالم)، مما يجعل الفصل بين الذات والموضوع وهميا [1].

ثانيا، إشكالية الذاتية المفرطة :ركز هوسرل على الوعي القصدي للفرد كمنطلق لفهم العالم، لكن هذا التركيز أثار تساؤلات حول إمكانية تعميم النتائج أو بناء معرفة موضوعية. فكيف يمكن تحويل التجارب الذاتية إلى معطيات قابلة للدراسة العلمية؟ هنا، ينتقد علماء النفس التجريبيون والاجتماعيون الفينومينولوجيا لعدم تقديمها أدوات قياسية أو قابلة للتحقق التجريبي. [2]

ثالثا، التناقض بين النسق الترنسندنتالي والعالم المعيش :في محاولة هوسرل لتأسيس فلسفة كـ"علم تأسيسي"، افترض وجود "أنا ترنسندنتالي" خالص يتجاوز التجربة اليومية، لكن هذا الافتراض يتعارض مع فكرة "عالم الحياة (Lebenswelt) "الذي أكد عليه هوسرل نفسه في أعماله المتأخرة، مما خلق تناقضاً داخلياً في بنية المشروع.

أخيرا، التحدي التطبيقي : واجهت الفينومينولوجيا صعوبات في الانتقال من النظرية إلى الممارسة في العلوم الإنسانية، ففي مجالات مثل التاريخ أو الاجتماع، يصعب تطبيق المنهج الوصفي الخالص دون الانخراط في التأويل أو التحليل السببي، وهو ما دفع تلامذة هوسرل (مثل شوتز وميرلوبونتي) إلى تعديل المنهج ليتلاءم مع تعقيدات الواقع.

يمكن ذكر أهم التحديات التي واجهت مشروع هوسرل [3] مثل الذاتية المفرطة، إذ يُنتقد المنهج لاعتماده على الوصف الذاتي، مما يصعّب تحقيق موضوعية مقبولة علميا، كما يتطلب تطبيق الفينومينولوجيا تدريبا فلسفيا عميقا، مما يحد من انتشارها في الأوساط الأكاديمية التقليدية، إضافة إلى التنافس مع المناهج التفسيرية مثل

[1] هوسرل إدموند، أفكار ممهدة لعلم الظاهريات الخالص وللفلسفة الظاهراتية، مصدر سابق، ص 87.

[2] Edmund Husserl, The Crisis of European Sciences and Transcendental Phenomenology « An Introduction to Phenomenology », Translated: David Carr, 1970, p 77.

[3] عرفه عبد الرحمن أحمد عبد الرحمن النادي، ادموند هوسرل والمنهج الفنومينولوجي "فلسفة الظواهر"، مرجع سابق، ص 2594.

الهيرمينوطيقا (التأويلية)، التي طورها تلامذة هوسرل كهايدغر وغادامير، والتي تركز على تفكيك النصوص أكثر من وصف التجربة.

رغم كل ذلك، أثر هوسرل على العلوم الإنسانية المعاصرة إذ ألهمت الفينومينولوجيا تيارات مثل[1] الوجودية (سارتر، مارتن هايدغر) وذلك في الربط بين الوجود الإنساني واختيارات الفرد، وكذا في علم الظواهر الثقافي (ألفريد شوتز) في دراسة البُنى الاجتماعية كنتاج للوعي الجمعي، دون أن ننسى علم النفس الظاهراتي (كارل ياسبرز) في تحليل التجارب النفسية المرضية من منظور المعايشة الذاتية. فهذه التحديات لا تقلل من قيمة المشروع الهوسرلي، بل تُظهر إشكالية محاولة تأسيس معرفة إنسانية متوازنة بين الذاتية والموضوعية، وبين الوصف والتفسير.

[1] فاطمة الزهراء فقير، الفينومينولوجيا بوصفها تأويلا، مجلة الحوار الثقافي، مرجع سابق، ص ص 11، 14.

خلاصة الفصل الثالث

بذلك فإن الفينومينولوجيا الهوسرلية تمثل إطارا ثوريا لإعادة تأسيس العلوم الإنسانية، بعد أن أنهكها هيمنةُ النموذج الوضعي الذي اختزل الإنسان إلى مجرد "شيء" يُقاس بمعايير خارجية، بتوجيه الأنظار نحو "عالم الحياة " (Lebenswelt) أي العالم كما يُعاش ويُختبر أعاد هوسرل ربط العلوم بالأسئلة الجوهرية عن المعنى والوجود، بدلا من حصرها في السببية المجردة، من خلال منهجية "الابوخي" (تعليق الأحكام المسبقة) وتحليل البُنى القصدية للوعي، وفَّرَت الظاهراتية أدوات لفهم الظواهر الإنسانية من داخلها، مع التركيز على كيف يمنح الأفراد العالم دلالاتهم الخاصة، هذا التحول سمح للعلوم مثل التاريخ وعلم النفس بدراسة التجارب الإنسانية في تعقيدها الذاتي، دون إغفال السعي نحو صرامة منهجية.

رغم التحديات – كصعوبة تحقيق الموضوعية أو التعارض مع المناهج التأويلية – تظل الفينومينولوجيا مرجعية حيوية لتجاوز الاختزالية العلموية، فهي لا تقدم حلولا جاهزة، بل إعادة توجيه نحو جوهر العلوم الإنسانية: الإنسان بوصفه كائنا معنيا، يعيش ويُفسر عالمه قبل أي تحليل نظري، بهذا المعنى، تكون الظاهراتية قد أعادت للإنسان مركزيته في المعرفة، كمصدر للمعنى وليس موضوعا للقياس فحسب.

الخاتمة

الخاتمة

تُعدّ الأزمة الإنسانية في فكر إدموند هوسرل (1859–1938) من أبرز الإشكاليات الفلسفية التي عالجها في أعماله المتأخرة، وعلى رأسها كتابه "أزمة العلوم الأوروبية والفينومينولوجيا الترنسندنتالية"، فقد لاحظ هوسرل أن الإنسان الحديث يواجه أزمة عميقة تتمثل في فقدان المعنى والهدف وسط هيمنة العقل العلمي والتقني، حيث باتت العلوم الطبيعية تركز على الجوانب الكمية والموضوعية للواقع، متجاهلة خبرة الإنسان الذاتية وأسئلته الوجودية الكبرى، ويرى هوسرل أن هذه الأزمة ليست مجرد أزمة في مناهج المعرفة أو تقدم العلوم، بل هي أزمة تمس جوهر الكينونة الإنسانية وعلاقة الإنسان بذاته وبالعالم من حوله.

بذلك احتلت مسألة "الأزمة الإنسانية" مكانة مركزية في الفلسفة المعاصرة، إذ قدّم إدموند هوسرل في أعماله المتأخرة، لا سيما في كتابه "أزمة العلوم الأوروبية والفينومينولوجيا الترنسندنتالية"، معالجة عميقة وجذرية لهذه الإشكالية، فكما قلنا بأن هوسرل يرى الإنسان الحديث يعيش أزمة وجودية ومعرفية تتجلى في فقدان المعنى والهدف، وفي اغتراب الذات عن العالم، وذلك في ظل هيمنة العقلانية العلمية والتقنية التي ميزت أوروبا منذ عصر النهضة، هذه الأزمة، بحسب هوسرل، ليست مجرد أزمة في مسار العلوم أو مناهجها، بل هي أزمة تمس جوهر الكينونة الإنسانية، وتنعكس على علاقة الإنسان بذاته وبالعالم وبالتاريخ والثقافة، حيث فقد الإنسان المعاصر ارتباطه بجذوره التاريخية والثقافية، وأصبح يعيش في عالم يفتقر إلى القيم والمعنى، ومن هنا، دعا هوسرل إلى العودة إلى الذات الإنسانية من خلال المنهج الفينومينولوجي، الذي يركز على تحليل الوعي والخبرة المعيشة، وإعادة تأسيس علاقة الإنسان بالعالم على أسس جديدة تستعيد للوجود الإنساني معناه وقيمته.

نتيجة ما شهدته أوروبا في القرون الأخيرة من تقدم هائل في العلوم الطبيعية والرياضية، أدى ذلك إلى بروز رؤية للعالم تقوم على الموضوعية والقياس والسيطرة التقنية على الطبيعة، غير أن هذا التقدم العلمي، برأي هوسرل، جاء على حساب الأسئلة الوجودية والروحية التي كانت تشغل الفلسفة الكلاسيكية، وأدى إلى تهميش

الخبرة الذاتية والمعيشة للإنسان، فالعلوم الحديثة، في سعيها نحو الدقة والصرامة، أهملت البعد الذاتي للوعي الإنساني، وأصبحت عاجزة عن معالجة قضايا المعنى والقيم والغاية، وهي قضايا تشكل جوهر الوجود الإنساني، من هنا، يرى هوسرل أن الأزمة الإنسانية المعاصرة هي نتيجة مباشرة لانفصال العلوم عن جذورها الفلسفية والثقافية، وعن الأسئلة الكبرى التي تتعلق بمصير الإنسان ومعنى وجوده.

إذن، مظاهر هذه الأزمة تتجلى في عدة مستويات متداخلة: على المستوى المعرفي، يعاني الإنسان من فقدان الثقة في قدرته على فهم العالم وفهم ذاته، إذ باتت المعرفة العلمية تقتصر على وصف الظواهر الخارجية دون النفاذ إلى أعماق الخبرة الإنسانية، وعلى المستوى الثقافي، فقدت المجتمعات الأوروبية ارتباطها بتقاليدها الروحية والفلسفية، وأصبح الإنسان المعاصر يعيش في عالم يفتقر إلى القيم والمعنى، تغلب عليه النزعة النفعية والتقنية، أما على المستوى الوجودي، فقد أدى هذا الوضع إلى شعور الإنسان بالغربة والاغتراب، وإلى حالة من "اللامبالاة الروحية" والفراغ الوجودي، حيث لم تعد العلوم قادرة على تزويده بالإجابات التي يحتاجها ليعيش حياة أصيلة وذات مغزى.

انطلاقا من هذا التشخيص، دعا هوسرل إلى إعادة تأسيس الفلسفة والعلوم على أساس "العودة إلى الذات"، أي تحليل الوعي الإنساني وظواهره كما تظهر في الخبرة المعيشة، من خلال المنهج الفينومينولوجي، هذا المنهج لا يكتفي بوصف الظواهر الخارجية، بل يسعى إلى فهم كيفية ظهور العالم في وعي الإنسان، وإلى الكشف عن البنى القصدية للوعي التي تجعل من العالم موضوعا للمعرفة والتجربة، ويرى هوسرل أن تجاوز الأزمة الإنسانية يتطلب العودة إلى الجذور الفلسفية والثقافية للوعي الأوروبي، وإعادة طرح الأسئلة الوجودية حول المعنى والغاية والقيم، بعيدا عن النزعة الوضعية الضيقة التي اختزلت الإنسان إلى مجرد كائن معرفي أو تقني.

تكمن أهمية بحث "الأزمة الإنسانية عند هوسرل" في أنه لا يقتصر على تحليل أزمة العلوم أو نقد الحداثة الغربية، بل يتجاوز ذلك إلى مساءلة الأسس الفلسفية للوجود الإنساني ذاته، كما أن هذا البحث يسلط الضوء

على العلاقة الجدلية بين المعرفة والوجود والثقافة، ويبرز الحاجة إلى إعادة التفكير في دور الفلسفة في زمن هيمنت فيه التقنية والعلم على كل مناحي الحياة، إن العودة إلى هوسرل اليوم ليست مجرد استعادة لتراث فلسفي، بل هي محاولة لاستكشاف إمكانات جديدة لفهم الإنسان ومعنى وجوده في عالم متغير، واستعادة العلاقة الأصيلة بين الذات والعالم والثقافة.

من هنا، سعت هذه المذكرة إلى دراسة مفهوم الأزمة الإنسانية عند هوسرل من خلال تحليل نصوصه الأساسية، وتفكيك أبعاد الأزمة في سياقها الفلسفي والتاريخي والثقافي، مع إبراز الحلول التي يقترحها هوسرل لتجاوز هذه الأزمة، كما هدفت إلى بيان راهنية هذا المفهوم في ظل التحديات التي تواجهها الإنسانية اليوم، من فقدان المعنى وتفكك القيم إلى تصاعد النزعات التقنية والنفعية، وإذ بنا هنا طرحنا إشكالية ومعالجة هذه الإشكالية تفتح أفقا جديدا أمام الفلسفة المعاصرة، وتعيد الاعتبار لدور الفلسفة في توجيه الإنسان نحو حياة أكثر أصالة وعمقا ومعنى.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا: قائمة المصادر باللغة العربية:

1- هوسرل إدموند، فكرة الفينومينولوجيا، تر: فتحي انقزو، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت، لبنان، 2007.

2- هوسرل ادموند، فكرة الفنومينولوجيا ، تر: فتحي انقزو، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1 ،2007.

3- هوسرل ادموند، الفلسفة علماً دقيقاً، تر: محمود رجب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2002.

4- هوسرل ادموند، تأملات ديكارتية، تر: تيسير شيخ الأرض، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ط1 ،2016.

5- هوسرل إدموند، أفكار ممهدة لعلم الظاهريات الخالص وللفلسفة الظاهراتية، تر: أبو يعرب المرزوقي، جداول، ط1، الكويت، 2011.

6- هوسرل إدموند، الأفكار التمهيدية في الظاهراتية الخالصة والفلسفة الظاهراتية، تر: ماجد فخري، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت، لبنان، 2006، ص 45.

7- هوسرل إدموند، مباحث منطقية "عناصر إيضاح فيمياء المعرفة"، الجزء 2، تر: موسى وهبه، المركز الثقافي العربي (كلمة)، ط1، 2010.

8- هوسرل إدموند، أزمة العلوم الأوروبية والفنومينولوجيا الترنسندنتالية، تر: إسماعيل المصدق، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2008.

ثانيا: قائمة المصادر باللغة الأجنبية:

1- Edmund Husserl, The Crisis of European Sciences and Transcendental Phenomenology « An Introduction to Phenomenology », Translated: David Carr, 1970.

ثالثا: قائمة المراجع باللغة العربية:

1- أ. م يوشنسكي، الفلسفة المعاصرة في أوروبا، تر: عزت قرني، عالم المعرفة، الكويت، ع 165 ,1992.

2- توفيق سعيد، الخبرة الجمالية، دراسة في فلسفة الجمال الظاهراتية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1 ،1992.

3- حسن حنفي، في الفكر العربي المعاصر، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط4 ،1990.

4- سماح رافع محمد، المذاهب الفلسفية المعاصرة، مكتبة مدبولي، ط1، 1973.

5- سماح رافع محمد، الفينومينولوجيا عند هوسرل، دراسة نقدية في التجديد الفلسفي المعاصر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1991.

6- شارلين هس-بيبر، وباتريشيا ليفي، البحوث الكيفية في العلوم الإجتماعية، تر: هناء الجوهري، القاهرة، مصر، المركز القومي للترجمة، ط1، 2011.

7- عادل مصطفى، فهم الفهم مدخل إلى الهرمينوطيقا " نظرية التأويل من أفلاطون إلى غادامير "، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2007.

8- فتحي إنقزو، هوسرل ومعاصروه من فينومينولوجيا اللغة الى تأويلية الفهم، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 1، 2006.

9- فؤاد كامل، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، دار الجيل، بيروت، ط1، بيروت، 1993.

10- محسن الزراعي، إدموند هوسرل، الفينومينولوجيا والمسألة الجمالية، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط 1، 2010.

11- مصطفى كمال المعاني، رائد عبد الجليل العواودة، الهيرمينوطيقا الغربية، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2018، ص ص 383، 384.

12- نادية بونفقة، فلسفة ادموند هوسرل – نظرية الرد الفينومينولوجي – ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2011.

13- يمنى طريف الخولي، مشكلة العلوم الإنسانية – تقنينها وإمكانية حلها –، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، د.ط، د.س.

رابعا: قائمة المراجع باللغة الأجنبية:

1- Nathalie Depraz, La crise de l'humanité européenne et la philosophie : Introduction, commentaire et traduction, Hatier, sans édition, 2019.

2- Jacobs Hanne. History and nature: Husserl's transcendental phenomenology of life, Review Articles / Research in Phenomenology 42 (2012) 269–303, 2012.

3- Husserl, Edmund et Sodeika, Tomas. Mysticism of meister eckhart and the phenomenology of The Philosophy of Person: Solidarity and Cultural Creativity ,vol. 1, 1994.

4- Feest, Uljana. "Husserl's Crisis as a crisis of psychology ".Studies in History and Philosophy of Science Part C: Studies in History and Philosophy of Biological and Biomedical Sciences.503-493 :43.2 , 2012.

5- Díaz, Por Jesús M. "Husserl y la Crisis de la Cultura ".The Paideia Archive: Twentieth World Congress of Philosophy .Vol. 6. 1998.

6- Suárez, Jorge Novella. "Crisis de las ciencias, Lebenswelt y Teoría crítica ".*Daimon Revista Internacional de Filosofia*.118-113 1998 .

خامسا: قائمة الموسوعات والمعاجم:

1- إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، مصر، 1990.

2- أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تر: خليل أحمد خليل، عويدات للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، م3.

3- عبد الرحمن بدوي، الموسوعة الفلسفية، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، بيروت، ج 2، ط1، 1984.

4- عبد المنعم حنفي. المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مديولي، القاهرة، ط3، 2000.

خامسا: قائمة المجلات العلمية باللغة العربية:

1- آسيا واعر، إدموند هوسرل، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، م 14، ع 1، 2022.
2- أحمد ماريف، إدموند هوسرل، التأسيس لفكرة الفينومينولوجيا وإسهاماتها الهرمينوطيقية، مجلة مقاربات فلسفية، م 8، ع 2، 2021.
3- أسماء مصابيح، موقف إدموند هوسرل من أزمة العلوم الأوروبية، مجلة التدين، م 14، ع 1، أبو القاسم سعد الله، الجزائر، 2022.
4- إسماعيل سالم فرحات، المنهج الفينومينولوجي عند إدموند هوسرل، مجلة العلوم الإنسانية، كلية الآداب، جامعة المرقب، ع 26، ليبيا، مارس 2023.
5- باقر إبراهيم الزيدي، موقف هوسرل من العلوم ومحاولته بأن تكون الفلسفة علما دقيقا، Lark Journal، م 50، ع 2، 2023.
6- حنان بونيف وهجيرة بوساق، المنهج الظاهراتي وتطبيقاته في الدراسات السوسيولوجية، مجلة الحكمة لدراسات الفلسفية، م 11، ع ،2، 2023.
7- حسان بركان، رفيق بوجمعة، الذاتية الترنسندنتالية: الماهية ومكانها في الفينومينولوجيا كفلسفة للماهية عند إدموند هوسرل. مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، ج 07، ع 2، جامعة باتنة، ديسمبر 2022.
8- سليمة قايد، الأبعاد الإنسانية لأزمة العلوم الإنسانية عند إدموند هوسرل، مجلد دراسات التنمية والمجتمع، م 07، ع 03، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، 2022.
9- سليمة قايد، خصائص الرد الهوسرلي، مجلة أفكار وآفاق، م 8، ع، 2، 2020.
10- عبد العزيز مباركي وحسن بن عبد الله، الفينومينولوجيا وفلسفة الوعي عند ادموند هوسرل، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، م 12، ع 2، 2020.
11- عرفه عبد الرحمن أحمد عبد الرحمن النادي، ادموند هوسرل والمنهج الفنومينولوجي "فلسفة الظواهر"، مجلة كلية العلوم الإسلامية، ع 34، 2018.
12- عبد القادر بخوش، إشكاليات منهجية في الدراسات الغربية لعلم مقارنة الأديان، مجلة الدراسات العقدية ومقارنة الأديان، م 7، ع 1، 2017.
13- عبد العزيز مباركي. حسن بن عبد الله، الفينومينولوجيا وفلسفة الوعي عند ادموند هوسرل، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية، ج12، ع 2، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان ،2020.
14- فاطمة الزهراء فقير، الفينومينولوجيا بوصفها تأويلا، مجلة الحوار الثقافي، م 7، ع 1، 2017.
15- فيصل لكحل، المنهج الفينومينولوجي وإشكالية المعرفة "قراءة في فلسفة إدموند هوسرل"، مجلة الخلدونية، م 9، ع 1، 2016.

16- كريمة بوستة، عالم المعيش ومسألة الثقافة في منظور فينومينولوجيا هوسرل، مجلة مقاربات فلسفية، م 4، ع 1، 2017.

17- ليلى الحيمر وأحمد الفرحان، نظرية المعرفة عند "إدموند هوسرل" من الوجود الواقعي إلى الماهية، مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية، م 5، ع 2، 2024.

18- محمد الطاهر عديلة وجمال منصر، حدود النمذجة املعرفية في العلوم إلجتماعية وإلنسانية :قراءة في مرافعات في فلسفة ما بعد الوضعية، مجلة الأستاذ الباحث للدراسات القانونية والسياسية، م 6، ع 1، 2021.

19- محمد بن سباع، المنهج الفينومينولوجي، المبادئ والتطبيقات، مجلة العلوم الإنسانية، م أ، ع 42، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة 2، الجزائر، 2014.

20- نوال بوالطمين ووسيلة بوسيس، الظاهراتية والظاهراتية التأويلية -رؤية في المفاهيم والعلاقات-، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، م 9، ع 3، 2020.

21- وليد عبد جبر الخفاجي، العلوم الإنسانية في العالم العربي بين التنظير والتطبيق - علم الاجتماع انموذجاً- ، م 10، ع 6، 2017.

22- يوسف بن أحمد، الظاهرة والمنهج. فينومينولوجيا هوسرل. مركز النشر الجامعي، تونس، 2008.

23- يوسف بلعربي، عبد العزيز مباركي، الفينومينولجيا والسينما، مجلة آفاق سينمائية، م 07، ع 01، مخبر الفينومينولجيا وتطبيقاتها، جامعة تلمسان، الجزائر، 2020.

سادسا: رسائل جامعية:

1- مراد قواسمي: قراءة في تصور التاريخ في فينومينولوجيا هوسرل، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في الفلسفة، جامعة السانيا، وهران، قسم الفلسفة، السنة الجامعية: 2009، 2010.

2- نوال بن عزوز ومختارية بن محمد، الأزمة في العلوم والفلسفة إدموند هوسرل أنموذجا، مذكرة ماستر في فلسفة العلوم، جامعة بن خلدون، تيارت، الجزائر، 2017.

سابعا: مواقع الانترنت:

عبد الحفيظ البار، محاضرات على اليوتيوب، https://www.youtube.com/watch?v=OoG7wXScQTI&t=11s، تاريخ الولوج: 01-05-2025 على الساعة 20:00.